الفصل الأول

الشهادة التاريخية للشيخ رائد صلاح

الشهادة التاريخية للشيخ رائد صلاح[1]

أمّا قبل!!

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله

الافتتاحية: الفكرة هنا في البداية: "**أما قبل**"؛ بمعنى: ما قبل تأسيس الحركة الإسلامية. كيف وصلنا لفترة الصحوة الإسلامية في هذه المنطقة من وطننا؟ حيث إنّ الناس في الخارج لا تتخيل أنّ هناك من يصلّي حتى هذه اللحظة في أراضي الـ 48.

يجيب الشيخ رائد صلاح:

سأبدأ منذ سنة 1973، حيث كنت في ذلك الوقت في الصف العاشر الثانوي، وكانت مدرستنا الثانوية في أم الفحم مدرسة مختلطة (طلاّب وطالبات)، وكان معظم توجّه الطلاب في ذلك الوقت من الناحية السياسية إلى الحزب الشيوعي، والبعض كان يحمل الأفكار الشيوعية متظاهراً بالإلحاد! وكان بعض الطلاب يملكون الفكر الفطري الصّافي وهو: الاعتزاز بانتمائهم الإسلامي وتاريخهم ولغتهم العربية، ولكن لم تكن لديهم أيّ ثقافة إسلامية من الممكن أن يواجهوا بها التيار الشيوعي السائد بالمدرسة في ذلك الوقت.

في تلك الأيام أكرمنا الله، وأصبح هناك تواصلٌ مع مكتبات الضفة الغربية (لم يكن هناك أيّ مكتبة إسلامية في الداخل الفلسطيني)؛ وهذا ما أعطانا فرصة اقتناء كتب تحمل ثقافة إسلامية، وأشهر كتاب كان قد أعجبنا كطلاب وقرأناه أكثر من مرة كان للكاتب مصطفى محمود رحمه الله، بعنوان "القرآن: محاولة لفهم عصري". هذا كان ما بين أيدينا! ووجدنا هذا الكتاب بمثابة الضالّة التي نبحث عنها لتكوين الثقافة الإسلامية ومواجهة التيار الشيوعي آنذاك.

وفي هذا العام بدأ قسمٌ منّا يصلّي وأنا كنت ممن بدأ يصلّي ولكنّها صلاة غير قائمة على أي فهم للإسلام بتاتاً! إنّما الاعتزاز الفطري كما قلت. البعض كان متعصّباً للموقف الإسلامي. ولم يكن يصلي أحدٌ من الطلاب. وهذا الكتاب الذي وقع بين أيدينا

[1] جرى الحوار مع الشيخ رائد صلاح، رئيس الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة سنة 1948، في لندن 5–2011/10/13. وكتب الشيخ رائد رسالة حول هذا الحوار، انظر: ص 121.

"القرآن: محاولة لفهم عصري" أعطانا بداية ثقافة لمواجهة التيار الشيوعي، وهذا أحدث التفاف مجموعة من الطلاب حول الاعتزاز بالإسلام.

سؤال: اسمح لي هنا بأن أقاطعك وأسألك: إذا كان هناك أسماء في هذه الفترة ممن كانوا يبحثون عن الإسلام؟

الشيخ رائد: نعم، أذكر الشيخ هاشم عبد الرحمن كان في صفّي نفسه، وكان ممن التفّ معنا ضدّ التيار الشيوعي السائد، وكان هناك بعض الطلاب أذكر طالب اسمه محمد عبد الصادق التفّ معنا في حينه وبدأ يصلّي، وكان هناك طلاب يؤيدوننا من بعيد، ولم يكونوا على تواصل قوّي معنا. وأيضاً زادت الثقافة الإسلامية لدينا أكثر مما كانت عليه عندما وقعت أيدينا على "تفسير الجلالين"، وكان أكبر تفسير وجدناه في تلك الأيام!

سؤال: تتحدث عن تلك الكتب وكأنّها كنزٌ أو شيءٌ ثمين وجدتموه، وكان من الصعب إيجاده؟ مع أنّنا في هذه الأيام نجدها أينما كان حتى على "البَسْطَات"!

الشيخ رائد: نعم كانت كذلك!

سؤال: كيف كان الجيل الذي قبلكم فلقد كنت في تلك الفترة بعمر 16 عاماً، هل هناك كان أساتذة أو مشايخ؟

الشيخ رائد: في الجيل الذي قبلنا لم يكن هناك أيّ توجّه إسلامي، وحتى الأساتذة الذين كانوا يدرسوننا لم يكن فيهم أي شخص ذو توجه إسلامي إطلاقاً! سوى استثناء وحيد؛ كنا نستفيد من معلّم اللغة العربية، أو كنّا نستفيد من حصة التعليم الإسلامي، وكانت حصة واحدة في الأسبوع، وكان يعلمنا بعض المعلمين اللذين جاؤوا من الضفة الغربية. ففي المرحلة الثانوية أذكر أستاذ اللغة العربية؛ كان اسمه: أبو الرائد. كان واضحاً أنّ له شخصية ملتزمة بالإسلام. وطبعاً كان لا يدعو إلى الإسلام! ولكنّه استطاع من خلال تعليم اللغة العربية أنْ يقوّي هذا الانتماء في داخلنا بطريقة غير مباشرة. أيضاً كان بعض أساتذة الدين الذين علمونا، ولم تكن هناك شخصية ثابتة في هذه الحصة الأسبوعية؛ فأذكر علّمنا مرة أستاذ من مدينة القدس، وأستاذ من مدينة جنين، وأستاذ من مدينة نابلس ثم جاءنا أستاذ رابع وهكذا... وهذا جعل تأثير أستاذ الدين علينا ضعيفاً ليس مثل أستاذ اللغة العربية.

معظم الجيل انسجم مع الوضع الجديد والقيادات الإسلامية في هذه الفترة 1948–1973، من القيادات من استشهد قبل 1948 مثل الشيخ القسام، ومنها من رحل بعد ذلك مثل الشيخ نمر الخطيب، ومنها من اعتزل الناس للحذر مثل: الشيخ توفيق عسلية للآن حي يرزق وصاحب علم كبير.

لمّا بدأت الصحوة بأمّ الفحم لم يكن هناك انسجام معها، إلا أنّنا استدركنا وبدأنا بالدعوة للإمامة في صلاة العيد والجمعة.

ومن الشخصيات الإسلامية المعروفة:

1. الشيخ سعيد الجتي عالم كبير حافظ لكتب التراث غيباً...، لكنه اعتزل.
2. الشيخ سعيد من زلفة، بنى لنفسه "خربوش" واعتزل للآخرة.
3. الشيخ حامد من كفر منذا من الذين ناصروا الصحوة الإسلامية.
4. الشيخ سالم صقر من العلماء الذين اعتزلوا، ثم ناصروا الصحوة عندما ظهرت (في كفر كنّا).

ما قبل الصحوة الإسلامية كانت الطرق الصوفية فقط هي الموجودة:

- الشاذلية: مع إبراهيم عباسي من أم الفحم.
- الخلوتية: هم أقوى الطرق وعندهم جامعة في باقة الغربية.
- الجيلانية: كان هناك البغدادي في القدس، وشخص آخر من عيلوط اعتزل الناس.
- الرفاعية: في أم الفحم.

سؤال: هل كان مسموحاً أن يأتي أساتذة من الضفة الغربية؟

الشيخ رائد: نعم. وكان هناك أيضاً من له تأثير بطريق غير مباشر في حينه، وهو مُعلّم التاريخ، لأنّ بعض مواد التاريخ التي كنا نتعلمها —وإن كانت بشكل موجز جداً— في بعض الحالات كان فيها شيء من التحريف من قِبل بعض مؤلفي الكتب، وكنّا طبعاً نتعلم عن التاريخ الإسلامي وسيرة الرسول ﷺ والغزوات المعروفة ثم عن تاريخ الخلفاء الراشدين، تعليماً سريعاً جداً، وكان هناك تركيز على الأحداث المهمة في التاريخ الإسلامي، ولكنّ هذه الأحداث إن لم يكن هناك أسلوب مناسب وثقافة قويّة لتدريسها قد يكون أثرها سلبي على الطالب. كانوا يركّزون في التاريخ على تعليم معركة صِفّين ومعركة الجمل ونكبة البرامكة.

سؤال: كانوا يركزون حول مواقف الفتن والمثيرة للجدل؟!

الشيخ رائد: نعم تماماً. ولكنّ الأستاذ الذي علّمنا التاريخ —وأنا أقول كلمة حقّ عن هذا الأستاذ— أحسن كيفية نقل هذه المادة لنا، وكان يشجعنا أن نعود إلى كتب أخرى غير الكتب المقررة في وزارة المعارف الإسرائيلية. فكان هناك كاتب ارتبطنا بكتبه وأذكر اسمه أحمد شلبي؛ له سلسلة كتب عن التاريخ الإسلامي، وعادة كان يتحدث عن الأحداث التاريخية ويختمها بعنوان دروس وعبر. فكُتُب هذا الكاتب تحمل الروح الإسلامية وروح الاعتزاز بالتاريخ الإسلامي. وهذا أيضاً قوّى بداخلنا —الأمر الذي كان موجوداً عندنا أصلاً بالفطرة— الاعتزاز بالإسلام واللغة العربية والتاريخ الإسلامي. هذه هي كلّ المصادر التي كانت عندنا في ذلك الوقت.

وكما قلت بدأ قسم منا يصلي!

وأيضاً في تلك الأيام، أيام الثانوية أقصد عام 1974 حيث كنت بالصف الـ 11، بدأت تظهر في مدينتنا، ظاهرة جديدة من نوعها لم تعشها أم الفحم في كل تاريخها السابق، فجأة ظهر مجموعة من الشباب تابوا وأقلعوا عن المعاصي، ودخلوا المساجد، وبدأوا يصلّون، ويلتزمون بالمظاهر الإسلامية، وبدأوا يشكّلون نواة تجمعهم دائماً، ويذهبون إلى البيوت ويدعون غيرهم للإسلام، مع أنّه لم يكن لديهم أي ثقافة إسلامية، سوى العاطفة الإسلامية التي دفعتهم للدخول إلى المساجد ودعوة الناس إلى الإسلام!

سؤال: هل تذكر أسماء منهم؟

الشيخ رائد: أذكر منهم الشيخ سليمان حسن أبو سيف، والشيخ رشاد إبراهيم، والشيخ علي غالب، والشيخ يوسف سليمان والشيخ سعيد سليمان، وخالد محمد سليمان، وعلي أبو حسين والقائمة طويلة.

سؤال: هل كانوا مجموعة واحدة؟

الشيخ رائد: نعم كانوا كذلك.

سؤال: ما الذي تتوقعه أّثر فيهم في تلك الفترة؟

الشيخ رائد: ما أريد توضيحه هنا، وأعتقد أنه مهم، وهو أنّ كل واحد من هؤلاء الشباب كان مبتلى: إمّا في شرب الخمر أو تعاطي المخدرات أو لعب القمار، وكانوا

معروفين في مجتمعنا بهذه الصفات، ولكن سبحان الله! عندما هداهم الله كان موضوع سلوكهم الجديد هو حديث أمّ الفحم والكل يتساءل ما سبب هداية هؤلاء الشباب؟!

سؤال: نعم ما هو سبب هدايتهم؟!

الشيخ رائد: في الحقيقة يبقى هذا السؤال محل بحث، فأقيسها على نفسي وأسأل نفسي: ما الّذي دفعني لأصلّي في بداية المرحلة الثانوية؟! هو شعور دخل مرة واحدة في حياتي، ودفعني للصلاة، وأنْ أبدأ بالبحث عن كتاب حول الإسلام حتى أبني ثقافة إسلامية في داخلي. فما الذي حدث؟! حقيقة في بعض الحالات أتأمل هذا السؤال ولا أجد الجواب المقنع! فأجد تفسيرات ولكن ليس الجواب المقنع؛ فمن هذه التفسيرات مثلاً: بأن التيار الشيوعي نمى في أنفسنا شعور الانتصار للإسلام على الرغم من أننا لم نكن نعي ما معنى الإسلام؟ ما معنى الشخصية المسلمة والانتماء الإسلامي؟ فهذا أحد الأسباب مثلاً.

سؤال: ألم يكن يأتي وفود من الضفة وغزة في تلك الفترة؟

الشيخ رائد: سآتي على هذا الموضوع لاحقاً. ولكن لم يكن للوفود علاقة بهذه الظاهرة، إنما بعد فترة جاءت وفود من الضفة ورعت هذه الظاهرة.

سؤال: إذن لم يكن للوفود علاقة ببداية هذه الظاهرة؟

الشيخ رائد: نعم. فهذه الظاهرة سابقة للوفود الكريمة المضحيّة التي جاءت من الضفة الغربية جزاهم الله خيراً فرداً فرداً. لذلك فهي سابقة ولم أجد الجواب الذي يقنعني أنا! ما الذي حدث بداخلنا؟ البعض قال: أنّ هؤلاء الشباب وصلوا لمرحلة يأس من المعاصي، وانتقلوا انتقالاً عنيفاً بالمفهوم الإيجابي من المعصية إلى الطاعة، ولذلك بقدر ما كانوا متعصّبين للمعاصي أصبحوا متعصبين للطاعة! وأصبحوا لا يطيقون أن يروا أي منكر في الشارع إطلاقاً. فما الذي دفعهم لذلك؟ فعلاً تساءلت أنا وغيري عن السبب، وكان هناك تفسيرات عديدة، ولكن —في نظري— يبقى هناك قدَر إلهي شاء لنا في هذه المرحلة الهداية وبداية توبة إلى الله سبحانه وتعالى في الداخل الفلسطيني بأراضي الـ 48. والبعض يقول العاطفة الناتجة عند الناس بعد ثورة الخميني هي السبب، مع أن الجميع يعرف بأن ثورة الخميني جاءت متأخرة! فأنا أتحدث عن فترة 1972–1974، ولكنّ ثورة الخميني كانت في 1979. والبعض يقول: الحدث الذي نسجله

ونقف عنده بألم وهو هزيمة 67 مع كل مرارة هذا الحدث، لكنّه حمل إلى جانب هذه الآلام إمكانية لم تكن متاحة لنا في الداخل الفلسطيني، وهي عودة التلاحم ما بين فلسطينيي 48 والضفة الغربية (بما فيها القدس) وقطاع غزة. وهذا التلاحم أوجد تواصلاً مع الدعاة المسلمين، ومع المكتبات الإسلامية، كذلك مع إمكانية زيارة المسجد الأقصى، وهذا أيضاً كان له أثر. ولكن حتى بعد هذا التواصل، أقول: إنّه كان فيما بعد ولم يكن وراء الحدث مباشرة. لذلك فأنا أقول هذا أمر الله سبحانه وتعالى! بدأت هذه البدايات نحو العودة إلى الله تعالى.

أنا كنت في الثانوية مع مجموعة طلاب بدأنا نلتف حول بعضنا في المدرسة، وخارج المدرسة بدأت ظاهرة التائبين إلى الله سبحانه وتعالى. وسبحان الله كأنه كان هناك توافق قدَري ما بين حياتنا المتغيرة نحو الإسلام في الثانوية وما بين حياة هؤلاء المتغيرة نحو الإسلام!

وأذكر هنا ونحن في الثانوية، كنا نذهب للمسجد وكان المسجد قديماً جداً، كان اسمه مسجد المحاجنة، وكان ضيّقاً من حيث المساحة، وبناؤه قديم جداً، وكنّا نلتقي بهؤلاء الشباب التائبين الذين انتقلوا من المعاصي إلى الطاعة بحمد الله ربّ العالمين، وهذا الالتقاء معهم في المسجد أوجد نوعاً من المودة والأخوية، وساندنا بعضنا.

دراسة الشريعة في الخليل:

وهنا أريد إضافة عامل مهم جداً، ونحن في الثانوية بالذات في سنة 1975، كنا في الصف الـ 12، وبطبيعة الحال الطالب الثانوي تفكيره ماذا سيتعلم؟ إلى أين سيتجه؟ أنا حقيقة كان (سبحان الله) في داخلي حبٌّ لدرجة التعصب للغة العربية، وهذا الأمر ما جاء من فراغ! فالذي أوجد في داخلي حبّ اللغة العربية والتعصّب لها هم الأساتذة الذين درسّونا اللغة العربية، بداية بالابتدائي وصولاً إلى الأستاذ أبي الرائد! يعني أول من علّمني اللغة العربية في الصفوف الأولى (الأول والثاني والثالث) كان الأستاذ ماجد، ثم جاء معلّمٌ آخر كان اسمه الأستاذ أحمد حسين، ثم جاء الأستاذ أبو الرائد. سبحان الله كانوا كأنّهم يتواصلون بالمهمة، فكان كل واحد منهم يزيد فينا حبَّ اللغة العربية وتعصبنا لها. وأنا كنت متعصباً جداً للغة العربية؛ فعندما كنت في الصف الـ 12 كان طموحي الكبير أنْ أتعلّم اللغة العربية حتى أصل لمرحلة الدكتوراه، أو كان في داخلي تردد آخر بالعكس تماماً! وهو أنْ أتعلّم الرسم وأنْ أحترفه وأصبح رساماً.

والذي حدث أن مدير الثانوية الأستاذ جميل سالم، رحمه الله، كان في أحد الأيام، من حيث لا نقصد ولا ندري، في رحلة إلى مدينة الخليل. دخل إلى كلية الشريعة في المدينة والتقى مع أساتذة وعميد الكلية، وسألهم: هل هناك إمكانية ليتعلّم طلاب من فلسطينيي 48؟! فقالوا له: نحن نرحب، وهذه أمنيتنا! فجاء الأستاذ جميل سالم متشجعاً جداً، وبدأ يبحث عن أي طالب مستعد أن يتعلم في كلية الشريعة في مدينة الخليل. وأذكر أنه جمعني والشيخ هاشم، وجمعنا حتى مع مجموعة من الطالبات اللاتي كان سلوكهن سليماً، وفيهن جميعاً العبادة الفطرية، وقال لنا: أنا جمعتكم بشكل خاص حتى أشجعَكم أن تتعلموا الشريعة الإسلامية في مدينة الخليل، ومستعد لأن أسافر معكم ولأسهل لكم كل ما هو مطلوب حتى تصبحوا طلاباً هناك. حقيقة هذا العرض أدخل لحياتي عرضاً جديداً غير اللغة العربيّة والرسم، وهو أنْ نتعلم الدين الإسلامي!

وفي حينه كان هناك نقاش مع الأستاذ جميل بأنه: يا أستاذي أنا (الشيخ رائد) أحبّ اللغة العربية فهل سأخسر دراسة اللغة العربية؟ فقال لي: بالعكس! أنت ستسافر لكلية الشريعة، وضروري جداً أنّ من يتعلم الشريعة يجب أن يتعلم اللغة العربية. ودار نقاش بيني وبينه، وذات مرة احتدّ النقاش؛ فقال: أين ستتعلم اللغة العربية؟ في الجامعات الإسرائيلية؟! فهل ستتعلم اللغة العربية باللغة العبرية؟! لأنّ من سيعلمك سيكون محاضر يتحدث اللغة العبرية، وهذا غير مقبول. وفعلاً أدخل فينا قناعة بأن ندرس في كلية الشريعة!

وأيضاً عندما كنا في الثانوية سنة 1975 كنا نذهب للمسجد، وكنا نقضي أوقاتاً طويلة في دراسة امتحان التوجيهي، وكنّا نخرج لفترات قصيرة إلى المسجد ثم نعود للدراسة في المدرسة. وذات مرة كنّا ذاهبين للمسجد، وإذا بمجموعة من الناس يجلسون؛ فسألنا: ماذا هناك؟ فقالوا: يوجد داعية. فانضممنا إليهم، وأثار فينا الشيخ أيضاً حبّ تعلم الدين الإسلامي! حيث كان خطابه حماسياً وعندما سألنا عنه، قالوا: اسمه الشيخ عبد الله نمر درويش! وكانت هذه أول مرّة نتعرف على الشيخ عبد الله من بعيد لبعيد جداً، ونحن طلاب في الثانوية! وكان له درس آخر في مسجد آخر في تلك الفترة، فذهبنا وحضرنا الدرس.

في تلك الفترة قرّر مجموعة الشباب التائبين بهمتهم العالية بناء مسجد، وهم ما زالوا في مرحلة الشباب، وفعلاً بنوه وكان اسمه قباء! ولقد بُني على أكتافهم. وكنّا —مع أنّنا

في الثانوية وندرس للتوجيهي ووقتنا مهم— نذهب ونساعدهم تطوعاً في بناء المسجد. وسبحان الله زاد هذا الأمر نوعاً من القوة مع تلك الظاهرة "ظاهرة التائبين".

وفي تلك الفترة ظهرت شخصية أخرى، شيخٌ كان اسمه عبد السميع، رحمه الله، وكان من الضفة الغربية من قضاء بيت لحم، ولكنّه درس في مصر ويتحدث باللهجة المصرية وجاء واستوطن في عدة مناطق؛ فاستوطن فترة في مدينة أم الفحم ثم في كفر قرع ومن ثم انتقل لمدينة الطيبة، والمهم أنّه في فترة وجوده في أم الفحم كان يعطي دروساً أيضاً، وكنّا نذهب إليها واستفدنا من دروسه.

وفي هذه الفترة، وهي فترة حسم دراستنا في الخليل أم لا؟ ساعدنا مجموعة التائبين وشجعونا عليها وهم كانوا من الطبقة العاملة. وفعلاً سنة 1976 ذهبنا إلى الخليل لدراسة الشريعة الإسلامية!

سؤال: قبل أن نذهب إلى الخليل أريد أن أسألك هل كان هناك أيّ مظهر من مظاهر الصحوة الإسلاميّة في المناطق الأخرى مثل أم الفحم أم لا؟

الشيخ رائد: سؤال جميل. أنا تحدّثتُ عمّا عاصرته أنا. ولكن فيما بعد عرفنا أنه كان هناك نواة للصحوة الإسلامية في باقة الغربية، وفي قرية جتّ، وفي قرية قلنسوة، وفي قرية الطيرة، وفي قرية كفر قاسم، وفي قرية جلجولية، في قرية كفر برا والطيبة. ولم نكن نعرف بهذا الأمر، ولكن عرفناه فيما بعد، وبدأنا نتعرف على كل صحوة إسلامية في كل منطقة. وفيما بعد عرفنا بأنّ المجموعة التائبة عندما أرادت بناء مسجد قباء، بدأت بجمع التبرعات وانتقلوا إلى قرى أخرى لجمع التبرعات، وعندما ذهبوا إلى باقة الغربية اكتشفوا أنّ هناك مجموعة من التائبين مثلهم! وعندما ذهبوا إلى كفر قاسم أيضاً وجدوا مجموعة من التائبين وهناك تعرّفوا إلى الشيخ عبد الله، وهم دعوه لأم الفحم لكي يعطي دروساً هناك.

ونحن حتى تلك الفترة، حتى دخولنا لكلية الشريعة، لم نكن سوى طلاباً نصلّي غيورين على الإسلام، ولم يكن لدينا ثقافة إسلامية، ولم يكن لدينا سوى ما قرأناه في الكتب التي ذكرتها؛ وهي: القرآن: محاولة لفهم عصري، ثم قرأنا كتابين "حوار مع صديقي الملحد" و"لغز الحياة ولغز الموت" لمصطفى محمود، وكتاب تفسير الجلالين!

سؤال: يبدو أنّ هذه الكتب أصلاً جاءت للردّ على الشيوعيين، ومثل كتب مصطفى محمود فرضت نفسها على الساحة؟

الشيخ رائد: نعم، وكان هذا أهم شيء عندنا، وهو الرد على الشيوعيين.

والآن عندما انتقلنا إلى مدينة الخليل؛ دعني أقول كلمة: حقيقةً وجدنا ترحاباً وتشجيعاً ورعايةً من عميد كلية الشريعة، خلقي خنفر وهو عمّه لوضاح خنفر! ومن كل المحاضرين ومن كل الطلاب، ومن سكان مدينة الخليل نفسها فاحتضنونا وعاملونا معاملة خاصة ورعونا رعاية خاصّة طوال الوقت!

عندما بدأنا نتعلم، التمّ حولنا مجموعة من الطلاب، قسم منهم من مدينة الخليل وقسم منهم من مدينة نابلس وقسم منهم من بيت لحم.

سؤال: هل تذكر أسماء منهم؟

الشيخ رائد: أذكر طالباً اسمه عز الدين من الخليل، وطالباً اسمه مازن من نابلس، وطالباً اسمه محمود من نابلس، وعلي وماهر من نابلس! يعني مجموعة من الطلاب التفّوا حولنا وشجعونا لنتوجّه للمسجد. وبدأنا نصلّي معاً بشكل خاص ونذهب للحرم الإبراهيمي، وبدأوا يشجعوننا على شراء الكتب والذهاب إلى المكتبات الكبيرة، وبالذات المكتبة الكبيرة المشهورة مكتبة دنديس، وقد كانت معروفة أنها من أكبر المكتبات في الضفة الغربية وقطاع غزة وفي كلّ فلسطين. شجعونا لهذه الاتجاهات، وكما تفضّلت بسبب وجود الجانب الإيماني فيها أصلاً، والمشايخ وأهل العلم وحفظة القرآن، فبدأوا يشجعوننا لنشارك في دروس المسجد وفي دروس الحرم الإبراهيمي، وهذه الدروس عرّفتنا على الشيخ حافظ الجعبري، وكان الشيخ أيضاً ممّن احتضننا، ومن ضمن الذين رَعونا ووَجَّهونا بالتوجيهات نفسها. وأيضاً أصبح هناك في هذه الفترة زيارات يومية من قبل الإخوة للبيت الذي نسكن فيه، نعم بدون مبالغة كل يوم.

سؤال: كأن البيتَ أصبح مركزاً للشباب القادمين من الخارج؟ وهل كان البيت للطلاب من أراضي الـ 48؟

الشيخ رائد: نعم كان فيه طلاب أراضي الـ 48. كنت أنا فيه، والشيخ هاشم عبد الرحمن، وشابٌّ ثالث اسمه خالد أحمد مهنّا، وشاب رابع اسمه محمد عبد المصطفى وشاب خامس اسمه إبراهيم مفيد من قرية مصمص، ثم انضمّ إلينا شابٌّ اسمه أحمد خليفة، وهؤلاء كانوا من أم الفحم. ثم انضمّ إلينا شابٌّ من كفر قرع اسمه تيسير عثامنة، وشابٌّ من جتّ اسمه شريف محمد وتد، وكنا مجموعة واحدة من الجيل نفسه، وكنا

في السنة الدراسية نفسها وفي السكن نفسه. والشقة كانت بمثابة مركز شبابي، وكان يزورنا أكثر من أخ في اليوم والحمد لله.

ووجدنا أنه حتى الطلاب الأكبر سناً منّا، الذين هم في سنة ثالثة وحتى سنة رابعة، تعرّفوا إلينا واحتضنونا، وبدأوا يشجعوا فينا البقاء والاستمرار في هذا الاتجاه.

أما بالنسبة لسكان مدينة الخليل، عندما شعروا بأن هناك طلاباً من أراضي الـ 48، أيضاً بدأوا يزوروننا ويكرموننا بدعوات للغداء والعشاء!

سؤال: يبدو أنه لم يكن هناك مغتربون غيركم أم لأنكم من أراضي الـ 48؟

الشيخ رائد: كان هناك مغتربون من كل الضفة الغربية، وحتى أذكر أنه كان هناك قسم من أهل غزة ورفح، ولكن لأننا قادمون من أراضي الـ 48 كان لنا خصوصية.

سؤال: هل تذكر أسماء؟!

الشيخ رائد: كان معنا فايز أبو عاذري من قطاع غزة في السنة الدراسية نفسها. ولكن كما قلت لك كان من المفاجئ لأهل الخليل أن يأتي طلاب من داخل الـ 48!

سؤال: هي أصلاً أراضي الـ 48 كانت شيئاً مبهماً بعيداً بالنسبة لأهل الضفة!

الشيخ رائد: تماماً، كانت شيئاً مبهماً، بل وأبعد من ذلك: فكان مجتمع الـ 48 مشكوكاً فيه! مشكوكاً في ولائه وفي دينه وفي هويته! لكن والحمد لله ربّ العالمين بعد هذا الاحتضان تعزّز فينا الإصرار وجعلنا نصمّم أن نكمل تعليمنا. وسبحان الله، في أول أسبوعين لي في كلية الشريعة قررت أن ألغي وأنسحب!

سؤال: لماذا؟

الشيخ رائد: لأني وجدتُ اللغة العربية من حيث الحصص نسبتها قليلة، وبذلك لن أتعلم العربية كما يجب!!

سؤال: ما زال حلم اللغة العربية موجوداً عندك؟

الشيخ رائد: نعم! حتى آخر لحظة كان في داخلي! ومع الاحتضان والتوجيه بأن من يتعلم القرآن يتعلم اللغة العربية، ومن يتعلم الفقه يتعلم اللغة العربية... ومن هذا القبيل، ووجدتُ أن هذا الكلام صحيحاً؛ فاللغة العربية لا تنفصل عن الإسلام بكل جوانبه. فأكملنا تعليمنا بمدينة الخليل!

والشيء الطريف الذي أريد أن أتحدث به، هو: في أول شهر لنا في مدينة الخليل، قال مجموعة من الطلاب: سنذهب لزيارة أهالينا ومن ثم نعود مرة أخرى، وأنا كنت من الطلاب الذين قالوا بأنني أرغب بالذهاب في إجازة، وفعلاً ذهبت. ثم جاء لزيارتي مجموعة من الشباب التائبين، وبدأنا بالحديث بأن الأمور في الخليل على أكمل وجه، وأنني بدأت الدراسة، فقالوا لي: غداً الجمعة وستخطب خطبة الجمعة! فقلت لهم: يا جماعة، اتقوا الله لم أدرس سوى شهر، وبأسلوب أخوي لطيف أقنعوني لحدّ الإجبار على ذلك، فوافقت. وكنت في حيرة من أمري وارتباك شديد، ودخلت في تجربة لم أكن في حياتي أتخيّل بأنّي سأدخلها، وسأقف على المنبر وأخطب خطبة جمعة أمام الناس! وبدأت في الليل أكتب خطبة الجمعة كتابة، وبدأتها بقوله سبحانه وتعالى "ألهاكم التكاثر"، وقد بدأت بالكتابة بأسلوب شائك: ما معنى ألهاكم التكاثر؟ وكتبت خطبة الجمعة. ثم جاء موعد الخطبة! فكنت في قلق وخوف وارتباك شديد! كيف سأقف بين الناس؟! ولكنّي وقفت على المنبر، ومسكت الورقة، وبدأت أقرأ الخطبة. وبالطبع أنا لم أكن أشعر بنفسي كيف كنت أخطب؟! كنت أشعر بأنّي إنسان طبيعي! وأقرأ كما يقرأ كل إنسان! وعندما انتهت الخطبة جاء إلي أشخاص، وقالوا لي: جزاك الله خيراً، ولكن خطبتك كانت كلها خطبة واحدة مع بعض! مربوطة مع بعض! فكنت تقرأ في استعجال (فقد كنت وكأنّي أريد أن أنهي هذا المأزق بسرعة!). هذه كانت تجربتي الأولى في الحديث أمام الناس، وكيف سنتحدث عن الإسلام في خطاب أو درس أو مهرجان؟ فكسرت حاجزاً معيناً في حياتي. كانت رائعة جداً مع أني كنت مجبراً عليها.

وعُدنا إلى الخليل وإلى الجامعة، وحدّثْنا الشباب عما حصل معنا فكانت تجربةً فريدةً ورائعةً، وشجّعت الشباب الذين معي من أم الفحم على الذهاب إلى أم الفحم ليخطبوا الجمعة هناك، وفعلاً هذا الذي حدث. ومن المعروف بأنّ أم الفحم كان فيها، في تلك الفترة، خمسة مساجد وهي: مسجد المحاجنة، مسجد المحاميد، مسجد الجبارين، مسجد الإغبارية، ومسجد قباء الذي بناه التائبون، وكان هو المسجد الأساس الذي نخطب فيه خطب الجمعة. وأيضاً بدأنا بالخطابة في المساجد الأخرى مع أنّه كان فيها أئمة ثابتون.

في السنة الأولى سنة 1976 بدأنا نتعرف أكثر على الدعاة الذين بدأوا يتواصلون مع جيل التائبين، والذين كانوا يأتون من الضفة الغربية أو من قطاع غزة؛ ففي هذه الفترة تعرّفنا أكثر على شخصية الشيخ عبد الله درويش، بدأنا نجلس معه ونتعرّف إليه وعلى الشباب الذين معه والذين كانوا من كفر قاسم أو من باقة الغربية أو من جتّ أو من

قلنسوة أو من الطيرة. كما بدأنا نتعرّف على الدعاة من الضفة الغربية، وقسم كبير منهم الآن في ذمة الله، وكان المعروف منهم الشيخ محمد فؤاد أبو زيد من قباطية (توفي في 2011/12/18)، والشيخ حامد البيتاوي من نابلس (توفي في 2012/4/5)، والشيخ سعيد بلال رحمه الله من نابلس (توفي في 2005/10/19)، والشيخ أحمد الحاج علي من نابلس، بالإضافة إلى ذلك كان في بعض الأحيان يأتينا دعاة آخرون من مناطق أخرى مثل طولكرم أو القدس أو رام الله، وكانوا يضيفون إضافات رائعة مثل الشيخ إبراهيم أبو سالم والشيخ جميل حمامي.

وبالنسبة للشيوخ من غزة؛ أحبّ أن أقول بأنّ المركز الأساسي للدعاة كان هو مسجد قباء، ولكن بدأ يتبلور أيضاً مسجد الجبارين للتائبين، وذلك لأنّ حارة الجبارين كان أكثر التائبين منها، وإمام المسجد الذي كان اسمه علي الغالب، هو في الأصل إمام وكان يحمل ثقافة شخصية عن الإسلام وأرضية فقهية، ولذلك أول ما ظهرت مجموعة التائبين عدّ نفسه مباشرة واحداً منهم ومناصراً لهم؛ ومسجده أصبح مركزاً لهم. فكنّا نتردد عليه، ويشجعنا أن نخطب الجمعة عوضاً عنه، وأن نعطي دروساً، وبأن نبدأ التواصل مع الناس. فصرنا نتردد على هذا المسجد، بالإضافة للمساجد الأخرى.

في إحدى المرّات كنّا نريد أن ندخل مسجد الجبارين كالعادة، فسمعنا ضجيجاً في المسجد، وعندما دخلنا وجدنا مجموعة من الناس متجمهرين، وهناك وجوه غريبة جالسة على شكل حلقة، فسألت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا: هؤلاء جماعة أتوا من غزة. فذهبت وسلّمت عليهم فرداً فرداً... ولكنّي أردت أن أسلّم على أحدهم فشعرت بأنّه لم يمد يده! ولم أعرف السبب؟! ولم أسأل! وجلست بين الناس، ولكن بقي السؤال في نفسي: لماذا لم يسلّم عليّ؟! وبقيت أراقبهم وأستمع لحديثهم، وفي حينه عرفت أنّ الذي لم يسلّم كان اسمه أحمد ياسين، والذي ابتلاه الله تعالى بمرض الشلل!! وبطبيعة الحال لا يستطيع أن يمدّ يده.

وكان ذلك في فترة 1977 تقريباً، أي أنّني كنت في السنة الثانية. سألنا عن هدف زيارتهم، فقالوا بأنّ هؤلاء جاؤوا وتوزّعوا ليعطي كلٌّ واحد منهم درساً في المسجد، فقلت: ممتاز جداً. وقبل أنْ نذهب طلب الشيخ أحمد ياسين من الذين معه بأن يعطوا كلّ واحد فينا كتيباً مجاناً كان معهم، طبعاً هذا الكتيّب كان مشهوراً جداً، وهو "قادة الغرب يقولون: دمّروا الإسلام وأبيدوا أهله" لجلال العالم. وكانت هذه أول مرة أقرأ فيها هذا الكتيب وأعجبني كثيراً. وفعلاً أعطوا دروساً عديدة، وقد كان ذلك في رمضان

وكانوا على عجل، فاستغربت من ذلك؛ حيث إنّهم تفرّقوا في المساجد وأعطوا الدروس، ثم اجتمعوا مرةً أخرى في السيّارة قبيل المغرب، وغادروا! حتى إنّهم لم يتناولوا الإفطار، مع أنّنا دعوناهم ولكنّهم ذهبوا ولم يستجيبوا للدعوة! يبدو أنه كان لديهم برنامجاً أرادوا تغطيته في أمّ الفحم وغير أمّ الفحم. وهذه كانت بداية التواصل مع غزة، بالإضافة إلى الشيوخ الذين كانوا يأتون من الضفّة الغربية. هذه كانت دائرة نموّ الصحوة الإسلامية.

سؤال: هل نستطيع أن نقول بأنه سنة 1977 كانت بداية الصحوة أو الدعوة؟

الشيخ رائد: جميل، هنا أتحدّث عما عشته أنا، ولكن مثلاً إذا تحدّثت للشيخ عبد الله نمر درويش عن عودته للإسلام بعد أن كان شيوعياً فهو قبلنا.

سؤال: أي سنة كانت رجعته تقريباً؟

الشيخ رائد: هو كان في بداية السبعينيات، تعلّم في المدرسة الشرعية في نابلس، وبدأ تواصله مع الشيخ حامد البيتاوي والشيخ سعيد بلال والشيخ أحمد الحاج علي والشيخ ناجي صبحة أبو أسامة رحمه الله؛ فالشيخ عبد الله نتيجة دراسته في الثانوية في مدرسة شرعية ذهب إلى كفر قاسم ونشر الصحوة.

سؤال: هل التزم الشيخ عبد الله وهو في الثانوية؟

الشيخ رائد: نعم، وهو في الثانوية؛ حيث رجع إلى كفر قاسم وبدأ في تكوين الصحوة الإسلامية هناك، وسبحان الله، كأنّنا كنا نتفق من دون أن نتفق، وليس فقط في أراضي الـ 48 حتى في الضفة وقطاع غزة أيضاً!

والآن في بداية سنة 1977، بعد دراستنا للشريعة الإسلامية، بدأنا ندرك أموراً لم نكن ندركها أو نعرفها نهائياً مثل: ماذا يعني انتمائي للإسلام؟ كيف يحدد الإنسان المسلم أهدافه؟ ورسالته ومهمته في حياته؟ والآن هذه الأسئلة المصيرية بدأنا نتعرّف عليها حقيقةً، ليس اجتهاداً من أنفسنا ولكن بتضافرٍ من كلّ العوامل التي سبق وذكرتها: من أهل الخليل الطيبين (أول سنة سكنّا في حارة أبو سنينة وكانوا أهل نخوة) والطلاب الطيبين والأساتذة الطيبين والوفود الطيبة.

ومن الذين ساعدونا على معرفة أجوبة هذه الأسئلة، الدعاة من الضفة ومن قطاع غزة، وتواصلنا مع الشيخ عبد الله نمر درويش، وقراءاتنا الأولى في الكتب الإسلامية، وبدايات تعرفنا على شيء اسمه حسن البنا، كتاب الرسائل، وسيد قطب، ومحمد قطب،

وأبو الأعلى المودودي، وأبو الحسن الندوي، ويوسف القرضاوي، ومحمد الغزالي وفتحي يكن، وهذه الكتب التي كانت منتشرة آنذاك، وكان كل واحد منا يحرص على أن يشتري 6–7 كتب عند ذهابه إلى أم الفحم لبناء مكتبة إسلامية، وهذه بدأت تقوي عندنا الفهم بكل أبعاده الثقافية والحركية والتربوية.

وهنا نقطة مهمة جداً، فكما قلت لك كنا ندرس في كلية الشريعة؛ في السنة الدراسية الأولى كنا ندرس في المبنى القديم وهو بقرب بلدية الخليل، ومبناها القديم الآن فيه معهد اسمه البوليتكنيك، وبيتنا كان في حارة أبو سنينة، وفي السنة الثانية انتقلت الكلية إلى مبنى جديد مستقل لها بمنطقة اسمها منطقة الحرس وهي معروفة بالخليل، وأيضاً انتقل سكننا من حارة أبو سنينة إلى حارة الحرس، وكان قريباً جداً جداً من كلية الشريعة. وهذا الانتقال كان فاتحة خير كبيرة علينا والحمد لله. كانت حارة الحرس حارة علماء ودعاة وحفظة قرآن، وكان هناك درس ثابت أسبوعياً في مسجد الحرس، وكان يعطي هذا الدرس مجموعة من العلماء؛ بينهم الشيخ الأستاذ صالح شريف جزاه الله خيراً، وقد علّمنا أصول الفقه والمعاملات والمواد "الدسمة" بكل معنى الكلمة. كما أنه كان يصلي في هذا المسجد ويعطي درساً مفتوحاً مع مشايخ آخرين، وكنّا نحن نحضر هذا الدرس.

وفي السنة الثالثة سنة 1978 بدأت إدارة المسجد تشجّعنا على أن نخطب الجمعة، وتقول لنا: بأننا أصبحنا في السنة الثالثة، فلماذا لا نخطب الجمعة في مسجد الحرس؟! وكان هناك إمام ثابت، رجل فاضل بكل معنى الكلمة اسمه الشيخ شفيق القواسمة، كان يشجعنا مع أنه هو إمام المسجد، مع أنّ أئمة المساجد عادة لا يحبون أن يحلّ أحدٌ محلهم! وكان يخطب الجمعة كإمام راتب، وكان هذا نادراً بأن يسمح لنا أن نأخذ مكانه، فالحمد لله رب العالمين أذكر أنا شخصياً بأنني وقفت على المنبر وخطبت الجمعة.

سؤال: بالتأكيد كانت مختلفة عن الخطبة الأولى المشهورة؟!!

الشيخ رائد: طبعاً! وكانت بأداء مختلف، وكنا قد قطعنا شوطاً بعيداً عن التردّد والتلعثم والارتباك! وفعلاً خطبت الجمعة في مسجد الحرس. ومن بعدي جاء أيضاً بعض الشباب، وصرنا نخطب الجمعة وأيضاً بدأنا ندرّس ما قبل صلاة الجمعة. والحمد لله زاد هذا من إثرائنا، وبدأ يصقل فينا شخصية تستعد للقيام بدور بعد أن تنهي الدراسة في مدينة الخليل.

أنشطة دعوية جديدة:

وفي تلك الفترة نحن بطبيعة الحال كنا نتعلم، وكان عندنا عطلتين عطلة قصيرة بين الفصلين وعطلة طويلة بعد الفصل الثاني، فكنا نرجع إلى مدينة أم الفحم؛ حيث بدأت تدخل نشاطات جديدة جداً هناك على الدعوة الإسلامية، وبدأ شيء يدخل على حياتنا نحن وهو إقامة لجنة زكاة، بالمعنى المؤسساتي. وبدأت تجمع الصدقات والزكاة في شهر رمضان، ويتم توزيعها. وكانت البداية متواضعة، ولكن كان أثرها عظيماً بكل معنى الكلمة على الناس (للأفضل طبعاً). وكان هناك نوع من النشوة، نوع من الاعتزاز، نوع من الشعور بعودة الحياة للإسلام لنا مع بساطة هذه الخطوة! والآن إلى جانب هذه الخطوة: فإنّ أهل أم الفحم لم يكونوا يصلّون التراويح، وهذا الوضع لم يكن في أمّ الفحم وحدها ولكنّه كان واقعاً عاماً إلا ما ندر. ومن تلك الأيّام بدأنا بصلاة التراويح.

سؤال: بعد هذه الفترة، وأنت الآن في سنة 2011 لا شكّ أنّك تشعر بنعمة الله عز وجل!

الشيخ رائد: أي والله! ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنّ اللهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وبجانب صلاة التراويح، جاءت إضافةُ أداءِ صلاةِ العيد، حيث قلنا لماذا نصلّي صلاة العيد في المساجد؟ نريد أنْ نحيي سنّة الرسول ﷺ وأنْ نصلّي في العراء.

سؤال: كان هذا الكلام في 1978؟

الشيخ رائد: نعم في 1978. وفعلاً أذكر هذه التجربة العظيمة، حيث صلّينا صلاة العيد في العراء في ملعب كرة القدم لأوّل مرّة! وجاءت الحشود في البداية لأنّه ولأول مرة سنصلّي صلاة العيد بهذه الطريقة، فمع أنهّ كان قسم كبير من النّاس يحبوننا ومتعاطفون معنا لكنّهم كانوا يتساءلون: يا أخي هل ستهجرون المساجد؟ فكانت حديث الساعة عند الناس، ولكنّنا تحدّينا هذه التساؤلات، وفعلاً أُقيمت صلاة العيد لأوّل مرة في ملعب كرة القدم في أمّ الفحم وبحمد الله ربّ العالمين، تمّت الصلاة على خير. والذي حصل أنّنا صلّينا في العراء ولكنّ بقيّة النّاس المتردّدين صلّوا في المساجد، فبقيت هناك صلاة العيد في المساجد. إلا أنّه عندما جاءت صلاة عيد الأضحى ثانيةً،

[2] **القرآن الكريم**، سورة النور، آية 21.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

حينها جاءت كلّ أمّ الفحم لصلاة العيد معنا! إلاّ المستضعفين وأصحاب الأمراض وعندهم أعذار، فبطبيعة الحال عندهم ظرف خاص.

ومن تلك اللحظة؛ دخلت هذه السُنَّة بشكل قويّ جداً على مسيرتنا الدعوية، وحتى لفتت انتباه الإعلام العالمي وليس فقط الإعلام المحلي؛ فأذكر أنّه في إحدى الصلوات جاءت تلفزيونات أجنبية يريدون أن يصوّروا صلاة العيد، وكنّا نسمح لهم ونقول لهم: تفضّلوا يمكنكم أن تصوروا صلاة العيد. والآن! هذه الخطوة وغيرها من الأمور، على بساطتها، إلا أنها كانت تضفي جوّاً جديداً على الصحوة الإسلامية وتنقلها نقلة نوعية؛ ومن الأمثلة على هذه الخطوات مثلاً موضوع العقائق (ذبح العقيقة بمناسبة ولادة المولود)... كان هذا الأمر غير معروف أبداً عند النّاس!

سؤال: يعني نحن في مرحلة بدأت تظهر فيها المظاهر الإسلامية؟!

الشيخ رائد: نعم تماماً. وأيضاً حتى صدقة الفطر كانت شبه معدومة ولكنها دخلت والحمد لله ربّ العالمين بشكل قويّ جداً، والزكاة كذلك دخلت بشكل قوي جداً. لذلك فلجنة الزكاة التي تحدثتُ عنها بدأت بداية متواضعة جداً، حيث جمعت رقماً بسيطاً جداً، إلا أنّه بعد سنة وبعد سنتين بدأت تجمع أرقاماً عاليةً. ففي آخر يوم من شهر رمضان كانت تكتب قائمة بأسماء البيوت المستورة، وفي اللّيل يأخذ كلّ واحد فينا ظرفاً فيه مبلغ ماليّ يوزّعه على المستحقين ممّن يعرفهم، وبدأت تُعلن للناس: جمعنا المبلغ المعيّن ووزّعناه على كذا وكذا، وعندما أصبح هناك إقبال عليها أصبح عندها عمل غير التوزيع على البيوت المستورة؛ فبدأت تسجّل قائمةً عندها في كلّ أيام السنة، وفي كل شهر تعطي هذه العائلات مبالغ معينة، فأصبحت هذه المبالغ تشكّل دعماً وكفالة ثابتة على مدار الأيام.

حتى هذه اللحظة التي نتحدث بها واللجنة واصلت مهمتها؛ فبدأت تكفل طلبة علم في الجامعات، وبناء عيادات طبيّة لعلاج النّاس؛ وخصوصاً في الفترة التي كان فيها إهمال طبي في حياتنا حيث كانت العيادات الرسمية هي الموجودة فقط، ويدعمها صندوق المرضى وكانت تابعة لدوائر إسرائيلية، وكانت مهماتها في النهار فقط؛ ففتحت لجنة الزكاة عيادةً في المساء بمبالغ رمزية جداً، وأقبل الناس عليها بشكل كبير جداً، وبدأت تتوسّع، والآن الحمد لله هذا المشروع الذي بدأ نواة على وشك أنْ يصبح مشفى كبيراً جداً من أربعة أقسام طبية.

وإلى جانب لجنة الزكاة بدأنا في مرحلة إدخال مشروع الصحوة الإسلامية ودفعه إلى الأمام جداً، وهو معسكرات العمل الإسلامي، وكانت فكرتها هي: ثلاثة أيام عمل؛ فبسبب الإهمال والتمييز، وظروف الظلم الذي نعيشه من قبل المؤسسة الإسرائيلية لقلة الخدمات وتدهور المرافق العامة والشوارع والأوضاع الصحية...إلخ، بدأنا كل سنة نعمل معسكرَ عملٍ إسلامي لمدة ثلاثة أيام، يشمل بناء جدران، ترميم مدارس، ترميم مقابر، تعبيد شوارع، بناء بيوت مستورة...إلخ. وهذا أعطى زخماً قوياً جداً بالنسبة للصحوة الإسلامية، وأيضاً هذا المشروع بدأ من لجنة الزكاة، من بداياتها المتواضعة جداً، حتى وصلت هذه المشاريع بحمد الله ربّ العالمين لهذا المستوى.

وإلى جانب هذه المشاريع بدأت عندنا فكرة الأعراس الإسلامية؛ وفعلاً نموذج العرس الإسلامي كان في بدايته كلمات، ثم تطور ليشمل الحداء الإسلامي، والأناشيد الإسلامية والمسرح الإسلامي... وطبعاً هذه الأمور دفعتنا لعمل فرقة فنية إسلامية.

سؤال: وهل هذا كله كان سنة 1978؟

الشيخ رائد: نعم. سنة 1978، وكل هذه الأعمال وأنا ما زلت طالباً في كلية الشريعة؛ فكنا نتعلم ونرجع، ونتعلم ونرجع وهكذا، فكنا ننتقل ما بين هذين المركزين.

سؤال: هل كان هناك في هذه الفترة كيان ما يسمى بالحركة الإسلامية أم ليس بعد؟

الشيخ رائد: لا. ليس بهذه الفترة؛ فبلورة فكرة الحركة الإسلامية لم تكن موجودة آنذاك.

وبالإضافة لكل هذه الأعمال التي قامت بحمد الله ربّ العالمين؛ صار عندنا تفكير في مهرجانات إسلامية كبيرة، وهذه المهرجانات الكبيرة كنا عادة نقوم بها في رمضان في ذكرى بدر، وفتح مكة، وليلة القدر... فهذه كانت ذكريات للمهرجانات التي كنا نعملها، ولهذه المهرجانات فوائد كثيرة جداً، فدفعت العمل الإسلامي للأمام، وأعطت للناس انطباعاً أن الصحوة الإسلامية هي الرقم واحد في أمّ الفحم؛ فلم يكن هناك وجود لفكر الشيوعية وما إلى ذلك.

في المهرجانات: عندما كنّا نقوم بها، كنا نفكّر أين ستجلس الناس، وبالطبع تعرف أن أوضاع الناس كانت بسيطة جداً، فكنا نجمع الكراسي من المدارس؛ حيث كنا نأخذ إذنَ رئيس مجلس أمّ الفحم —أذكره بالخير وجزاه الله خيراً— وكان اسمه أبو ماجد

مصطفى الحاج داود، وكان رجلاً كبيراً في السن ومحترماً، فكنا نذهب عنده ونقول له: سيدنا الشيخ عندنا مهرجان في 27 من رمضان.

سؤال: هل كان هو شيخاً؟

الشيخ رائد: لقد كان شيخاً بالفطرة، يصلي وحياته الشخصية ملتزمة جداً. كنا نذهب عنده ليعطينا ورقة تسمح لنا بأخذ الكراسي من المدارس ليجلس عليها الناس! وكان يعطينا. وكنا ندعو أصحاب الشاحنات، مَنْ عنده نخوة منهم، بأن يتبرع وينقل لنا الكراسي، كانت هذه حركة ومشاهد غريبة في أم الفحم؛ فلم يكن هناك شيء اسمه البناء الحركي الذي فيه مسؤوليات وتخصصات ودوائر عمل؛ إذ كان كل شيء على الفطرة، الذي يريد أن يعمل فإنّه يعمل ويساعد دون تكليف، كنّا نتعب ونرتب الكراسي، ويأتي الناس ويجلسون عليها ونقدم لهم الماء بعد صيام رمضان، فكانت الناس تُكبر فينا هذا التعب؛ كان هناك شيء جديد في حياتنا يُظهر هويّتنا الإسلامية وكياننا. وهذه العاطفة هي التي كانت مطلوبة.

وأنا الآن أتحدث ولم أتطرق لموضوع النساء، وأنا برأيي يجب أن نفرد له حديثاً خاصاً ويُعطى مساحةً خاصةً لأن فيه أمراً مهماً يقال. والحمد لله ربّ العالمين.

هذا يذكرني أيضاً بصلاة العيد؛ حيث كان هناك سؤال صعب: أين ستسجد الناس؟! كنّا نقوم بالأمر نفسه؛ نذهب للمساجد ونجمع كل البُسُطْ الموجودة هناك، ولم تكن البُسط من قطعة واحدة، بل كانت حُصُر بألوان مختلفة وبُسُط من القماش، فكنا نجمع كل الذي في المساجد ونحمّله بتراكتورات! وأذكر كنا نكتب حرفاً على كل بساط، فمثلاً مسجد المحاجنة نكتب حرف الميم لكي يُعرف أن هذا البساط من مسجد المحاجنة، فلا يضيع ونرجعه.. كانت بدايات لطيفة جداً! وكنا أيضاً نزين الطريق المؤدي للملعب بأقواس من النخل فتعطي مناظر جميلة، حين تدخل الناس فيه تشعر أين نحن كنا! فقد بدأت تدخل في طور جديد. وعندما نخرج من صلاة العيد كان الشباب يقدّمون التمر وبعض الحلويات، فكان ذلك شيئاً جديداً عند الناس. كلّ الأجواء بتفاصيلها جديدة على النّاس وممتعة لهم!

وكل هذه الأمور جاءت مع بعضها سبحان الله.

وهناك أمرٌ مهم جداً؛ أريد أن أعود لموضوع المهرجانات، الذي كان له أثر ليس على أمّ الفحم فقط، بل كان أثره على القُطر كله، فعندما يُعلنُ عن مهرجان أمّ الفحم يأتي إليه

الناس من كل البلدات. وقد كانت بدايات متواضعة، فكانوا يأتون من الجليل، وبالذات في هذه الفترة المدن التي برزت هي: الناصرة، شفا عمرو، عكا، بالإضافة للمثلث. عندما كنا نُقيم المهرجانات كان الناس يأتون من كل المناطق التي ذكرتها، يأتون بعد صلاة العصر بالحافلات، والشباب في البلد الذي فيه المهرجان يكونون مستعدّين؛ كل شخص يأخذ مجموعة من الضيوف يفطرون في بيته ومن ثم يرجعون لموقع المهرجان، وهذا أوجد تعارفاً بين كل أهل الـ 48!

سؤال: مَنْ الخطباء الذين كانوا في المهرجان؟

الشيخ رائد: كان واضحاً أن هناك شخصيات دائماً تشارك بالمهرجانات وهم: الشيخ عبد الله نمر درويش، الشيخ محمد فؤاد أبو زيد، الشيخ حامد البيتاوي، الشيخ سعيد بلال، الشيخ أحمد الحاج علي، فهذه هي الشخصيات التي كانت دائمة التواجد.

سؤال: يعني كانوا من الشمال غالباً؟

الشيخ رائد: نعم.

هذه المهرجانات ماذا كانت تفيدنا كطلاب في كلية الشريعة؟ فتحت لنا طريقاً للتعليم والتدريب؛ ففي البداية كنّا عرفاء حيث كنّا نؤدي دور عريف الحفل، وهذه الفرصة أعطتنا خطوة لأن نقف أمام الآلاف من الناس مرة واحدة! تتحدث بمكبر صوت بمكان مفتوح، فبدأت تعلّق، وتعرف ما الذي تقوله؟ وتتحدث لكل خطيب، وأيضاً هذه قوّت العلاقة ما بيننا وبين الجمهور العام بأكمله على اختلاف قراه ومدنه.

سؤال: وأيضاً عُرِفتم أمام الناس!

الشيخ رائد: نعم.

كل هذه النشاطات جعلت العمل الإسلامي يتغلغل بالفطرة، لم يكن هناك عنوان محدد لكل العمل الإسلامي؛ فمن الأسماء التي برزت، حتى الإعلام بدأ يرددها، وهي: الشباب المسلم؛ فكان هذا مصطلح عن كل هذه الصحوة الإسلامية، أو البعض اختار لنفسه: التائبون، وأيضاً البعض اختار لنفسه: أتباع الكتاب والسنة... وكل هذه الأسماء كانت تدور على المحور نفسه، وتدّل على المكّون نفسه، والنشاط نفسه، والحركة نفسها التي كانت موجودة.

وهنا فواصل مهمة نتحدث عنها؛ أحدها القطاع النسائي فنفرد له حديثاً، وهناك أمرٌ ثانٍ مهم نفرد الحديث عنه، وهو الصراع الذي كان مع بعض التيارات السياسية الأخرى، وأمرٌ ثالث وهو هذه الحركة كيف بدأت تبلور نفسها، وكيف تأثرت، وكيف بدأت تحدد أهدافها العامة الكبيرة التي بدأت تصب جهودها حتى تحققها.

بين الحماس والشدة وبين الحوار والإقناع:

في الحقيقة هذه فواصل مهمة جداً في حياة الصحوة الإسلامية، وحتى الآن لم يكن هناك مصطلح اسمه الحركة الإسلامية. وإذا أردنا أن نتحدث عن أحد الجوانب الثلاثة التي ذكرتها وهو الصراع الذي كان ملفتاً جداً للانتباه، فسنرجع للبدايات؛ التي كانت عبارة عن مجموعة من العصاة التي تابت إلى الله سبحانه وتعالى بحماس شديد جداً، فلذلك كان عندهم وقوف عند أوامر الله سبحانه وتعالى بشكل متشدد جداً، وقاوموا المنكر بشكل متشدد، وكانوا هم الذين يريدون إزالة المنكر بأيديهم. فعلى سبيل المثال: عندما كانوا يصطدمون مع شاب مفطرٍ في رمضان فالإجراء السريع هو أن يضربوه، لم يكن عندهم هناك حديث أو إقناع أو حوار، بل الضرب مباشرة! وإذا اصطدم مع شخص يتطاول على الذات الإلهية أيضاً يبدأ بالضرب! أذكر مرة أنّي كنت ما زلت في الثانوية وكنا قد أنهينا الصلاة في مسجد المحاجنة، وأنت تعرف الوضع في أم الفحم قديماً، كانت عبارة عن أزقة قديمة، وحتى الكهرباء كانت تصل لمناطق ومناطق أخرى ما زالت مظلمة، فالوضع كان صعباً، وكنا خارجين من المسجد أنا ومجموعة من الطلاب الذين كانوا معي، وهؤلاء التائبون كانوا خارجين من المسجد، وإذا بشاب من الذين كانوا بالشارع —وكان بالثانوية— يتطاول على الذات الإلهية، فقام واندفع أحد منهم وبدأ يضربه حتى أتى أحد الناس و"فَزَعَ" له، وانتهت المشكلة على خير والحمد لله رب العالمين! وأذكر أيضاً أحدهم كان في الشارع في رمضان في مدينة أم الفحم، والتقى مع شاب مفطر، فلم يتردد ولم يحدثه ولم يطرح عليه السلام، مباشرة بدأ يضربه والناس بدأت تَفْصِلُ بينهم! دعنا نقول بأن دافع هذه الحدة التي كانت، هي الانتقال من حدّة المعصية إلى حدة الطاعة؛ فصار هناك حدة حتى في الطاعة، لا يطيقون أن يعصي أحدهم الله سبحانه وتعالى، وهذا انعكس على تعاملهم مع الأطراف السياسية التي كانت بطبيعة الحال موجودة في أم الفحم، كان هناك شدة في التعامل. وأعطي مثالاً على ذلك: عندما بدأت الأجواء الجديدة في رمضان عندنا في أم الفحم؛ بدأ يختفي بالتدريج وجود شخص

مفطر في الشارع، فلقد انحسمت القضية رغباً أو رهباً، وأيضاً بدأت المطاعم والمقاهي تغلق أبوابها في رمضان، وأيضاً الحمد لله رب العالمين الآثار التي كانت موجودة زالت؛ مثلاً: الخمارة الفلانية زالت ومحل القمار الفلاني زال.

سؤال: يعني كان هناك محلات خمر وقمار في أم الفحم؟!

الشيخ رائد: نعم كان هناك محلات خمر وقمار معروفة وموجودة لكنها انتهت. وبالإضافة إلى ذلك نرجع للمغفور له مصطفى الحاج داود (أبو ماجد) رحمه الله، فقد ذهبنا إليه في رمضان وتوجهنا له بطلب إقفال المطاعم والمقاهي في رمضان، حتى الناس تحب بعضها وتتكون أجواء جميلة جداً، وفعلاً كان رجلاً فاضلاً ونفّذ القرار؛ إلا أنه جوبه بعد هذا القرار من بعض أصحاب التيارات السياسية الأخرى، وأذكر أن أحدهم أصرّ بأن يُبقي مطعمه مفتوحاً في رمضان، مع كل هذا الجو الجميل الذي بدأ يعمّ مدينة أم الفحم آنذاك، وقد أصبحت بلداً يظهر عليه المظاهر الإسلامية.

سؤال: إلا هذا الشخص؟!

الشيخ رائد: نعم. ومعه واحدٌ أو اثنان. وهؤلاء الشباب مع التعصّب والحدّة التي كانوا عليها لفرض مظاهر الإسلام وعدم السماح بالمنكر، حاولوا بأن يكون المطعم الذي رفض الإغلاق كباقي المقاهي التي أقفلت، وعندما وجدوه مصرّاً قاموا بعمل حملة على المقهى، وذهبوا بعد صلاة الفجر وأرادوا أن يُلزموه إغلاق المقهى بالقوة، وبالطبع هذه الحدة أنشأت خصومات، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى انتهت وتمّ تداركها وانتقلت إلى مرحلة أخرى، فكانت تحدث مثل هذه الأمور في أم الفحم!

سؤال: المهم هل أقفل المطعم أم لا؟!

يضحك **الشيخ رائد:** دعنا نقول بأن في هذه الفترة، أصبح في هذا البيت شباب تائب ويصلي وملتزم بفضل الله تعالى، وعلى الأقل نشأ احترام متبادل بيننا وبينه، وحوار طيب مع اختلاف الأفكار في بعض الأحيان.

سؤال: إلى هذه اللحظة هناك اختلاف؟

الشيخ رائد: نعم في بعض الأحيان!

سؤال: نعود لموضوع الشدة، والنساء لأنه موضوع مهم جداً.

الشيخ رائد: نرجع لموضوع الشدة لأنّه حقاً موضوع مهم. ولكن موضوع النساء أفضّلُ أنْ يكون محوراً لوحده كي لا نضيّع حقّه، فبالأصل النساء مظلومات... "ههه" !!

نرجع إلى الشدة فهي حقاً كان لها تأثير سلبي، ومن سلبياتها أنّها أوجدت توترات اجتماعية نحن كنا في غنى عنها في مدينة أم الفحم، أو غيرها من القرى والمدن، التي مرت بهذه الأجواء من التوتر الاجتماعي أو التوتر السياسي الذي كنا في غنى عنه أيضاً، ولم نكن بحاجة له. وبالإضافة إلى ذلك —ولو كان لبعض الوقت— جعلت هذه الشدة البعض يتخذ موقف الحذر أو النفور من الصحوة الإسلامية، وكأنه يعيب عليها هذا السلوك، وصار حُكماً جماعياً على كل أبناء الصحوة الإسلامية بأنهم أصحاب أساليب عنيفة ومنفّرة، حتى ولو أن هذا التصرف صدر من شخص أو اثنين أصبح حكماً جماعياً، وعندما يصبح حكماً جماعياً وتُصْبَغُ الصحوة فيه؛ فتصبح أنت محاصَراً. وصار التحدّي: كيف يمكن أنْ تغيّر هذا الانطباع؟ وهذا ليس بالأمر البسيط أن تغير هذا الانطباع العام عند الناس، وهذا الكلام الذي أقوله هو من السلبيات التي نتجت عن الشدة التي عشناها في تلك الأيام.

والحمد لله رب العالمين مع وجود الشدة التي كانت، بدأنا نحاول أن نضع إلى جانبها أساليب أخرى؛ أساليب الحوار، والحوار السياسي، والانفتاح على الآخر مع وجود الاختلاف في المواقف والأفكار والآراء السياسية، إلا أنّه مرة أخرى أقول: في البدايات الأولى كان الأمر صعباً جدّاً لأنّه أصبح هناك شبه انطباع، شبه حكم عام على الصحوة الإسلامية بأنها تختطُ ذلك النمط.

دعني أقول: الحمد لله رب العالمين، مع وجود هذا النمط وهذا الانطباع، إلا أن انتشار الصحوة الراشدة لم يتوقّف، واستمرّت تنتشر بين الطلاب وطبقة العمال والنساء وفي الجامعات، وكانت بشكل بطيء جداً. في تلك الفترة، الشدة كان لها أثر، كما قلت نوعاً ما، من الآثار السلبية، وأبرز هذه السلبية أنه حتى تلك الفترة لم يكن لدينا إعلام إسلامي نهائياً، وكان إعلامنا الوحيد هو مساجدنا ومهرجاناتنا.

سؤال: هل يمكننا القول بأنّه كان هناك صراع بين مكوّن لم يزل في أطر التكوين مع أطراف أخرى مؤطّرة حزبياً وتنظيمياً؟ وكما فهمت من حضرتك أنّكم ما زلتم تياراً وليس إطاراً؟

الشيخ رائد: دعني أقول للحقيقة هنا: أن سلوك الشدة هذا كان سلوكيات فردية، وليست مبنيّة على موقف أو قرار حزبي سياسي معيّن، بل كانت سلوكيات فردية فقط، ولكن البعض حاول أنْ يعطيها سلوكاً عامّاً يعممه على كل الصحوة الإسلامية، وبالذات —أرجع وأقول الملاحظة— لم يكن عندنا الإعلام الذي يدافع عنا، بينما بعض الأحزاب كان عندها إعلام، فكان من السهل عليها أنْ تكتب وتنشر أخباراً، ونحن حتى تلك اللحظات لم يكن عندنا التجربة الناضجة المطلوبة؛ وهي تجربة العمل الحزبي المنظّم ولو بأبسط أشكاله ولو بتوزيع منشور يُفهِم الآخر من أنت؟! ولكن الحمد لله، بعد ذلك تغيّرت الأمور للأحسن بفضل الله ربّ العالمين.

أحدث هذا الإعلام في تلك الفترة، نوعاً ما، تأثيراً سلبياً، تجاوزناه فيما بعد، والحمد لله ربّ العالمين. وفيما بعد بدأنا بمرحلة جديدة مباركة بفضل الله رب العالمين، ولكن سبحان الله تعالى تبقى هذه الفترة لدراستها والاستفادة منها مهمّة جداً في تاريخ الحركة الإسلامية.

وأريد أنْ أنوّه هنا بنتيجة هذا الصراع من حيث محاولاتنا لأن نقدم نموذجاً لصراع مقبول، صراع مهذّب وليس صراعَ شدة، صراع قائم على الحوار، صراع قائم على الجدل بالتي هي أحسن، وهذا الأمر دفع البعض منّا، حتى يكون محاوراً قويّاً، لأن يبدأ بقراءة أفكار الآخر والتعرف على مبادئه، وفعلاً هذا الأمر دفعنا، لن أقول الكل، بل قسماً منّا، بأن يبدأ فعلاً وبترو بدراسة مثلاً: الماركسية وكل مقولاتها المعروفة والرد عليها، فاندفعنا لقراءة الكتب التي تناولت هذا الموضوع بشكل عميق؛ مثال كتاب "فلسفتنا"، و"نقض أوهام المادية الجدلية" للبوطي، و"شبهات حول الإسلام"... وغيرها من الكتب التي تناولت هذا الموضوع.

وأرجع وأقول هذا للفائدة: عندما بدأ كلّ قسم منا يشكل عنده معرفة عن الآخر أكثر من معرفة الآخر عن نفسه، لا شكّ أنه كان لذلك أثرٌ قويٌّ جداً بكل معنى الكلمة.

وأريد أن أروي حدثاً، يستفاد منه كجزء من هذه التجربة؛ في أحد أيام العيد —حيث من المعروف أن الناس في العيد تُعيّد على بعضها وتتزاور— دخلنا على بيتٍ من بيوت أهل أمّ الفحم، وسبحان الله تعالى، فإنّ العيد جامع لكل أهل أم الفحم على اختلاف التوجهات الفكرية والآراء السياسية، وفُتِح في حينه النقاش حول موضوع المادّية الجدليّة في بعدها الفكري بعيداً عن القضايا السياسية أو القضايا الاجتماعية، بل كان جدلاً فكرياً مباشراً؛

فقسمٌ منَا كان طرفاً ضدّ الجدلية الفكرية وقسم آخر من أنصارها كان طرفاً آخر، والباقي مستمعون. فما الذي حصل آنذاك؟! الذي حصل أنّنا بدأنا نتحدث، والحديث بدأ يُظهر الطرف الآخر —أمام المستمعين في تلك الجلسة— بأنّه لا يعرف عن أفكاره كما يعرف الطرف الآخر الذي هو نحن! فلما انتهت نتيجة السهرة خرج الناس، حتى الناس العاديين، بنوع من الفرح ليس لأنه ربح شخص أو خسر شخص، بل صار عندهم شعور بقوة بالإسلام، وأن هناك شيئاً اسمه فكر إسلامي، وهناك شيء اسمه حقٌّ يدحض الباطل، والإسلام هو الحق وما سواه هو الباطل. فذلك الحادث كان مشهداً جميلاً جداً في حياتنا نحن الإخوة الذين كنا في تلك الجلسة.

وأذكر مثالاً آخر، وهو: أننا كنا في بيت عزاء، ومن المعروف كما يقولون بأنه يجمع الحامض والحلو من المعزين! أحد الحاضرين معروف بأنه كان عنده نوع من الاعتداد بالنفس، وكان صاحب تساؤلات دوماً مريبة مشككة، فقدّر الله بأننا كنا مجموعة التقينا معه في بيت العزاء نفسه، فبدأ يتساءل التساؤلات المشهورة حول قضايا أصول الإيمان واليوم الآخر وقيام الساعة ووجود الله بأسلوب مشكّك، وصار هناك نقاشٌ طويلٌ وأخذ طابعاً فكرياً محضاً على أصول فكرية بكل معنى الكلمة، بعيداً عن الصورة النمطية لاتّهام المشايخ بأنهم دراويش! في النهاية سكت كأنّه حدث أمرٌ في داخله، نوع من الرضا والقناعة بأنّ ما يقوله خطأ، في ذلك المشهد، بعدما أنهينا اللقاء في بيت العزاء خرجنا وخرج معنا أناس من الناس العاديين، وواحد منهم بدأ يهتف ويرقص كأنّه هو من انتصر! وبعد أيام سمعنا بأنّ الشخص الذي كان يجادل، ربُّنا شرح صدره وبدأ يصلي؛ الحقيقة هذه تجربة فريدة من نوعها. هذا من مقتطفات عشناها في هذا الأمر على جناح السرعة.

سؤال: لكنّها من الواضح أنّها تبيّن الروح التي كانت موجودة آنذاك.

الشيخ رائد: في شيء ملفت للانتباه، سبحان الله تعالى.

في تلك الفترة عندما صار نوع من الشدة، وتولّد الانطباع العام بأن هناك تعصّباً، كان بعض العقلاء —مع كلّ رفضه وتألّمه لهذا الأسلوب— يحاول أنْ يقنع الناس بألاّ يستعجلوا ويحكموا على هؤلاء الشباب حكماً سلبياً، ويقول للناس: يجب عليكم أنْ تعرفوا بأن هؤلاء كانوا شديدين بالمعصية وأصبحوا شديدين بالطاعة! سيأتي يومٌ ويهدأون، لا تستعجلوا عليهم! وفعلاً كانت هذه نظرة العقلاء في تلك الفترة التي عشناها، الحمد لله رب العالمين.

دعني أقول: هذه التجربة بكل جزئياتها ومع كل تفصيلاتها، وجانب من سلبياتها التي عشناها؛ إلا أنّها في المجمل جعلت الإسلامَ والحديث عن الإسلام أمراً في كل بيت وفي كل سهرة، وعند أصحاب الثقافات المختلفة، وعند الطبقات العمالية، وفي كل المجتمع، في كل السهرات، في كل أنواع السهرات أصبح هذا الحديث عند الجميع: "بأن تتساءل ما الذي يحصل؟!".

وفعلاً بدأ هذا يفتح الأبواب أمام الصحوة الإسلامية. طبعاً في حينه، كان أحد الأمور التي اجتهدنا نحن أنْ نُدخِلها على الخط كما يقال؛ هو شعار: "بالتي هي أحسن"، بالحكمة والموعظة الحسنة، فأردنا أن ندخله على الخط، فماذا فعلنا؟ بدأنا بإنشاء مكتبة إسلامية، وبدأنا نوفّر الكتاب، ونشجع الناس بأن يقرأوا الكتب الإسلامية. وأذكر أنّنا كنّا نأخذ الكتب عند مداخل المدارس الثانوية ونعرض الكتب للطلاب، وكان هذا مهمّاً جداً لنا بأنْ نوصلَ الكتاب لطالب الثانوية، وخصوصاً أنّنا عشنا هذه المرارة، مرارة فقدان الكتاب. والحمد لله، بفضل الله رب العالمين كان هناك أثر طيب جداً.

سؤال: ما زلنا في 1978؟

الشيخ رائد: نعم ما زلنا في 1978.

أذكر على سبيل المثال نموذجاً: ذهبنا لمدرسة كفر قرع الثانوية وفردنا الكتب على اختلاف أسمائها، وعندما جاء وقت الاستراحة جاءت مجموعات من الطلبة والطالبات وأحاطت بنا؛ فقلنا: هذا فوزٌ أول ولو لم يشتروا أيَّ كتاب، ولكنّ المهم أن يصبح هناك التقاء بينهم وبين الكتاب الإسلامي ولو لمرة واحدة! ومن ثم أتى المعلّمون وبعدها جاء المدير —وهذا من حقه طبعاً— يريد أنْ يطمئنّ ماذا نبيع؟ وتفحّص الكتبَ واطمأن. ومرّت الأمور على خير والحمد لله رب العالمين، وبعض المعلّمين كالعادة، وهذا طبيعيٌّ وموجودٌ في كل زوايا مجتمعنا، بدأ يتساءل، فجاء أحد الطلبة وردّ على أسئلته الاستفزازية.

وأتذكر أن هذه التجربة تكرّرت مرة أخرى في مدرسة عرعرة الثانوية، عرضنا الكتب، وخرج الطلاّب وصارت مرحلة التقاء مع الكتاب الإسلامي، وكان هناك صاحب مطعم قريب من المدرسة أصرّ أن نتغدى عنده! فقلنا الحمد لله ممتاز جداً.

فكلّها كانت محاولات —بإذن الله رب العالمين— بأن نرسّخ وسائل دعوية تبين أنّ الصحوة الإسلامية ليست عنيفة ومتشددة وأساليبها غليظة ومتعصبة، وهذا السلوك

إن صدر يصدر من أفراد ولا يصدر من اتجاه أو قرار، ويبقى هذا التصرف محكوماً بالشخص الذي يصدر منه. وكان يجب علينا أنْ نستخدم كلّ وسيلة حتى نغيّر هذا الانطباع نحو الأفضل، وهذا ما كنا عليه بحمد الله رب العالمين.

سؤال: كل هذا التوجه والتحرك الذي تقومون به وأنتم ما زلتم مجموعة من الشباب، وبالأصل الشباب في هذا السن يميلون نحو التطرف والتشدد؟!

الشيخ رائد: تماماً هذا صحيح!

أسرة الجهاد:

الشيخ رائد: أذكر هنا نقطة مهمة جداً وُلِدت مع مرحلة التشدد، وهي: هذا الحماس والعاطفة التي كانت موجودة وتقود لمثل هذا التشدد. في أواخر السبعينيات وصلنا لقناعة بأنّه لا يجوز أن نبقى نحن بعيدين عن العمل العسكري، ويجب أن ننتقل إليه؛ يكفي سنتين، ثلاثة، أربعة. ويجب الانتقال للعمل العسكري. وهذا التفكير يجب بلورته في إطار عمل عسكري، وكان هذا الأمر ونحن ما زلنا طلاباً في كلية الشريعة. وفي هذه الفترة الشباب التائبون بهذه العاطفة الصادقة والحماس الصادق هو ما دفعهم لهذا التفكير.

فما الذي حدث؟ شكّلوا مجموعة من الشباب: من مدينة أم الفحم، باقة الغربية، قلنسوة، وكفر قاسم، هذه أسماء لأربع قرى تشكلت فيها المجموعة، وكانوا ستين شابّاً، وسمّوا أنفسهم "أسرة الجهاد"، ودخلوا في إطار عملٍ عسكريّ، واشتروا السلاح وبدأوا يعتبرون أنفسهم الآن في مواجهة جهادية مع الظلم الإسرائيلي، وهذه المرحلة النهائية التي بدأوا ينفذونها. نحن وكل طلاب الشريعة الذين كنّا نتعلم لم نكن فيها إطلاقاً، وأصلاً لم نكن نعلم عنها إطلاقاً، فكنّا نحن في الدائرة التي تحدثت عنها، في الدائرة الدعوية والدائرة المؤسساتية حتى تلك اللحظات، والتي لم تتعدّ تلك الأمور التي ذكرتها أو النشاط الجماهيري. وهذا العمل تحديداً كان هناك اجتهاد من القائمين عليه بالتكتم، وعملية تخصيص نوعية الشباب الذين انتقوهم؛ فكانوا هم الوحيدون الذين كانوا يعلمون ما فيها.

سؤال: هذه كانت تجربة الشيخ عبد الله؟

الشيخ رائد: نعم. كان الشيخ عبد الله جزءاً فيها، وكان هناك حوالي ستين شاباً من القرى التي ذكرتها.

سؤال: نحن الآن نتحدث عن تاريخ فمن كان رائد هذه المجموعة؟ نحن في الخارج نعرف بأن أسرة الجهاد كان رائدها الشيخ عبد الله.

الشيخ رائد: دعنا نقول بأنّ الشيخ عبد الله لم يكن صاحب المبادرة الأساسية فيها، إلا أنّه نتيجة تطوّر هذا الحماس عند الشباب، وتطوّر سلوكياتهم التي كانت نابعة من الحماس الشديد والعاطفة الشديدة، دفعهم في هذا الاتجاه، وهو ما أوجد هذا العمل. وبطبيعة الحال كان معروفاً بأنّ الشيخ عبد الله هو الرئيس للصحوة الإسلامية في تلك الفترة، ولم يكن هناك شيء اسمه الحركة الإسلامية في تلك الفترة.

سؤال: لم تكن هناك الحركة الإسلامية آنذاك وكان الشيخ عبد الله هو الرمز فيها؟

الشيخ رائد: نعم كان هو بلا شكّ الرمز والأساس فيها، فبطبيعة الحال صار مفهوماً بأنّ الشيخ عبد الله هو من بادر فيها.

سؤال: هل هناك أسماء؟

الشيخ رائد: هناك أسماء.

كان هناك إلحاح شديد من مجموعة الشباب التائبين على الشيخ عبد الله، أنّه لا بدّ أن يكون لنا دور جهادي عسكري في مقاومة الاحتلال، وعلى أهمية أن نخطو خطوة مثل هذه. وبالذات من شباب مدينة أم الفحم وباقة الغربية.

تزايد الإلحاح من الشباب، ونتيجة لذلك توسعت الفكرة وانتشرت خارج أم الفحم فضمّت شباباً من خارجها: من قلنسوة وكفر قاسم وغيرها... .

هذا هو أساس الفكرة حتى تلك الفترة، وبما أنّ المسؤول الرئيسي والواضح لهذه المجموعة هو الشيخ عبد الله، فبطبيعة الحال اشتهر فيها هو، وتعامل معها كأمر واقع وكجزء من نشاطات العمل الإسلامي، وارتبطت باسمه فأصبحت هذه المسألة ملتصقة تاريخياً بالشيخ.

تنظيم العمل في فلسطين المحتلة سنة 1948:

ولم يكن هناك تواصل شخصي بين رائد صلاح والشيخ عبد الله إلا عند بداية جمع التبرعات لمسجد قباء.

كذلك كان هناك حوارات بين الشباب التائبين وطلاب كلية الشريعة ومجموعات متدينة لتنظيم العمل الإسلامي في منطقة الـ 48. فكان لهم لقاء عقد في باقة الغربية، وضمّ شباباً من مناطق: جتّ، باقة الغربية، قلنسوة، أم الفحم، كفر قاسم، الطيرة. وهذا اللقاء ما قبل دخول أسرة الجهاد السجن سنة 1980، وهو أوسع لقاء شارك فيه الشيخ رائد في تلك الفترة، طبعاً كان الشيخ عبد الله حاضراً لهذا اللقاء.

في ذلك اللقاء تمّ الاتفاق على الترتيبات التالية:

1. أن يكون هناك نشاطات قطرية بين المناطق وتنسيق بينها.
2. تمّ التأكيد على مسؤولية الشيخ عبد الله عن المجموعة.
3. بناء نواة لإدارة عامة للعمل الإسلامي.
4. الإدارة كانت تمثيلاً جغرافياً للمناطق وكان الشيخ رائد ممثلاً لأم الفحم.
5. كل هذا اللقاء وترتيباته غير معلنة.

مع التأكيد على أن هذه الإدارة لم يكن لها تواصل مطلقاً مع أسرة الجهاد، ولم تكن تعرف مطلقاً عن كل ما يتعلق بأسرة الجهاد، وهناك فصل مطلق بين الإطارين.

أما على المستوى المحلي للمدن والقرى؛ فقد بدأت عملية ترتيبات لإدارات محلية في القرى المذكورة، وبدأ العمل يأخذ شكلاً مرتباً وواضحاً. وبدأت مرحلة الترتيب للعمل التربوي المنظّم، وبالتالي يتجه العمل إلى ما هو أبعد من موضوع العمل العام، الذي كان يقتصر في بداياته على المهرجانات والفعاليات العامة والدروس المفتوحة؛ وهكذا بدأت اللقاءات التربوية المنهجة.

الانضمام كان سنة 1978، وذلك نتيجة التواصل بيننا وبين شباب الخليل والاحتضان لنا. ومن الشخصيات المهمة والتي كان لها دور في هذا الاحتضان الشيخ ماهر بدر.

تجدر الإشارة أنّ خصوصية وفلسفة العمل في أراضي الـ 48 لم تكن واضحة، وإنما كان التواصل تحت مظلة الصحوة الإسلامية العامة. إلا أن ترددنا خلال الإجازات بين الخليل والداخل الفلسطيني، أصبحنا ننقل لهم معلومات عن صورة الوضع الإسلامي في المنطقة، أسهم ذلك في معرفة الإخوة في الخليل (سواء من أهلها أم من الطلاب الدارسين فيها) لما يجري في المنطقة، وهذا ما أثار اهتمامهم ودفعهم للتفكير بزيارة المنطقة والتواصل معها. وبالفعل زارتنا مجموعة من طلاب نابلس وبادلناهم الزيارة،

وكذلك زارتنا مجموعة من الدعاة من الخليل؛ ومنهم الشيخ حافظ الجعبري وعز الدين الجعبري. وكنّا كذلك نحن نزورهم في بيوتهم وبيوت زملائنا الطلاب في قرى محافظة الخليل (يطا، ودورا، والفوار، وإذنا).

كانت هذه الزيارات مفيدة جداً في تمتين وتقوية البعد الديني والتربوي والأخوي بيننا. وقد أسهمت هذه الزيارات العملية أكثر من أي كتاب فكري في حياتنا. إلا أنّه لم يترتب على هذه الزيارات أي ربط تنظيمي.

وأشير هنا إلى أحداث من الجيد توثيقها:

1. في البدايات الأولى، بدأنا نعيد بناء المساجد القديمة أو نبني مساجد جديدة، كنا نبحث عن تبرعات فانتشرنا في مدن فلسطين، فذهبنا لغزة في أوائل الجولات. وفي هذه الجولة استضافنا أهل غزة الطيبون، وبتنا في المجمع الإسلامي، ورحب بنا الشيخ أحمد ياسين، وكان ذلك بداية الثمانينات تقريباً.

2. ترتب على هذه الزيارة زيادة التواصل والاستفادة من غزة وخبراتها وأهمها الأعراس الإسلامية. فكان أن أقمنا العرس الإسلامي الأول، وكان العريس: أحمد فتحي خليفة، أحد الطلاب الذين تخرّجوا من الخليل. وبقدر الله، عند الاستعداد لهذا العرس؛ فإذا بزوّار من غزة يأتون لأم الفحم وكان الشيخ أحمد ياسين من ضمن الوفد، وقد ألقى كلمة في هذا العرس.

3. في أحد أيام الجُمع دخلت مبكراً كالعادة، فوجدت المسجد مزدحماً، اقتربت من المجتمعين فتعرفت عليهم، وإذا بهم شباب من مدينة غزة في رحلة تعارف على مجتمع فلسطينيي 48، دون تنسيق مسبق مع أحد، وكان منظم الرحلة الدكتور عمر فروانة، وهذا أحد أطراف التعارف القدرية (مسجد قباء). بعد الصلاة طلبنا من أهل المسجد الانتظار وتوزع الضيوف عليهم... معظم هذه الوجوه عادت للمشاركة في عرس إسلامي ثانٍ في حارة الجبارين، والعريس أحمد محمود، وفي ذلك العرس ألقيت كلمة.

4. الاستفادة من هذا التواصل وهذا التعارف كانت عندما نقيم المهرجان السنوي في 27 رمضان، وكنّا نحرص أن يكون من ضمن الضيوف دعاة من غزة أيضاً.

5. من المهم التأكيد، أنّه مما لا شكّ فيه أنّ التواصل الأكثر كمّاً ونوعاً كان من الضفة؛ فقد كان لا يخلو أسبوع من فعالية يكونون فيها (درس، مهرجان، مناسبات، عرس

إسلامي، درس للنساء). الدروس الأسبوعية كانت منتظمة، وكانت مدن الشمال أكثر مناطق الضفة تواصلاً معنا.

6. دور الضفة كان بارزاً في العمل مع الأخوات (سيرد تفصيل الاهتمم بالمرأة لاحقاً).

عودة لمتابعة العمل الإسلامي في المنطقة:

في هذه الفترة بقي الشيخ عبد الله في السجن ثلاث سنوات ونصف تقريباً، وبالتالي برزت قيادات جديدة وشابّة للعمل الإسلامي. هذه القيادات تواصلت مع بعضها البعض، وعندها إصرار على التعلّم من تجربة أسرة الجهاد والتجارب السابقة، وأهم أمر وهدف كان نصب أعينها هو بناء العمل التربوي. ومن هذه الشخصيات: رائد صلاح، وإبراهيم العبد الله (كفر قاسم)، وخالد حمدان (أم الفحم)، والشيخ هاشم (أم الفحم)، وكانت القيادة جماعية.

بعد أسرة الجهاد كان هناك اتساع للعمل الإسلامي في الفترة التي تلتها باستثناء صدمة الضربة الأولى، كان هناك توسع جغرافي للجليل والنقب والمدن الساحلية، وكذلك توسع وامتداد بشري بدخول وجوه جديدة للعمل الإسلامي، ومن أهمها مجموعات طلاب جديدة (أفواج أخرى من الخليل أو في كلية أصول الدين في القدس) في الفترة 1981–1983، ومنهم شباب قرى الفريديس، والمشهد، وعكا، وكفر قرع، وأم الفحم. والبعض أيضاً تعلم في قلقيلية: عبد الرحمن أبو الهيجا، وعبد الرحيم خليل، ومجموعة طلاب من الناصرة، منهم الشيخ منير أبو الهيجا، وفي هذه الفترة برز بقوة دور الأخوات.

ومن أبرز الأسماء التي ظهرت في تلك المرحلة: الشيخ كمال الخطيب، وخالد حمدان، وعباس زكور، ومحمود أبو عطا، وحسن مرعي.

الجدير ذكره أنّ أول لقاء التقيت فيه مع الشيخ كمال في عرسه في مسقط رأسه في العزير.

وهكذا بدأت محاولات لملمة العمل الإسلامي:

بدأت بدايات مهمة جداً لترتيب العمل في مدن مثل: المثلث، والجليل، والنقب... فصار تعارف دعوي من خلال الزيارات والنشاطات المتبادلة، ومن الشخصيات التي تعارفنا عليها في تلك الفترة الشيخ إبراهيم العبد الله (أدب إنجليزي).

في هذه الأجواء بدأت شخصيات من أسرة الجهاد تخرج من السجن فوجدوا واقعاً جديداً، انتشار جغرافي للدعوة، تكاثر مؤسسات، تنوّع أنماط العمل؛ ومن الأمثلة على ذلك:

1. انتشار دعوي وجغرافي: وصلت الدعوة والصحوة لكل أو لأغلبية مدن الداخل الفلسطيني.
2. تنوّع أنماط العمل: أهمها مهرجان الفن الإسلامي الذي كان يعقد آخر أيام عيد الأضحى. فكرته كانت ثلاثة أيام مكتظة بالنشاطات؛ خيام كبيرة لمعارض، للفن والتحف والمجسمات الإسلامية، والكتب، وصور للدعاة، وزخرفة فخارية. هذا يتطلب جلب معروضات من كل أنحاء فلسطين مما يسمح بالتواصل مع مدن فلسطين كلّها، وفعاليات ومسابقات: شعر ونشيد ومسرح ومؤذنين، وتخصيص يوم كامل للنساء.

كلمة إيجابية تقال في حقّ من خرجوا من السجن بعد انتهاء الأحكام عليهم في قضية أسرة الجهاد، إنهم انسجموا مع الواقع ومشوا معه دون شروط !! وهذا أدّى إلى تطوّر العمل الدعوي.

من ضمن من خرج من السجن الشيخ عبد الله نمر درويش، فدخل في صورة العمل وعنده اجتهاد أيضاً لبناء العمل وتطويره، فبدأنا نلتقي بنواة صغيرة جداً، كانوا يجتمعون كممثلين للمناطق حتى سنة 1983 وهم: الشيخ كمال، ورائد صلاح، والشيخ سعيد (باقة الغربية)، وعبد الرحيم وتد أبو وائل، وعدنان من كفر قاسم، وعبد الحكيم سمارة (الطيرة) والشيخ عبد الله.

بعد فترة دخلت شخصيات من النقب (كمال هنية)، ومن بئر السبع، ومن الشخصيات التي أذكرها شاب من اللد واسمه يوسف أبو شريعة. شكّل هؤلاء إدارة قُطرية وفق التمثيل الجغرافي، وبدأ يبرز مصطلح الحركة الإسلامية، كان هذا في نهاية سنة 1983.

في تلك الفترة من العمل تقريباً 1983 خرجت شخصيّة من السجن لها التزام إسلامي طيّب، هو أبو الوليد غزالين من الناصرة ولم يكن من أسرة الجهاد، احتضنه الشباب، وهو وجد واقعاً إسلامياً لم يكن موجوداً عندما دخل إلى السجن! وبدأ هذا الرجل يبرز متحدثاً وصاحب رؤية. في الغالب خلفيته تنظيم فتح، بقي معنا، واستفدنا منه في النشاط العام جنباً إلى جنب ولم يُظهر أيّ فكر مغاير لما نحمله.

للأمانة: هناك شاب من الناصرة اسمه أبو إبراهيم جمعة، برز دوره في مرحلة ما بعد أسرة الجهاد في مدينة الناصرة، والتي كان فيها رجل من غزة يعمل إمام مسجد السلام اسمه أبو هاني أوجد نهضة إسلاميّة بين الشباب في الناصرة. أبو إبراهيم هذا دخل في بدايات اللقاءات، وشارك في المحاولات القائمة لإعادة البناء مثل أبو الوليد، وبعد خروج أبو الوليد من السجن وبرز نجمه أخذ الدور من أبي إبراهيم.

من الشخصيات التي خرجت من السجن، وكان لها دور في الضغط ليكون لنا بناء، فتحي علي الناصر (الكسلاوي)، تبيّن لنا بعد فترة أن له خط مشترك مع أبو الوليد غزالين (تيار إسلامي عام خيري).

تطورات مسار العلاقة بين شطري الحركة الإسلامية:

اجتمعنا ذات ليلة، تقريباً نهاية سنة 1983، في بيت الشيخ عبد الله: أبو الوليد، والشيخ كمال، والشيخ رائد، وعبد الله، واثنان آخران لا أذكرهما (تذكرت شاباً من الناصرة اسمه تاج الدين). في ذلك اللقاء جرى حديث واضح وصريح عن: من نحن؟ هويتنا؟ بناؤنا؟ وفي ذلك اللقاء تحدّث أبو الوليد حديثاً صريحاً لا يقبل التأويل، أنّ له خطّاً مغايراً (يعبّر عن اتجاه إسلامي آخر)، وحاول أن يتحدث كأنّه عنوان لأهل الجليل، وقال إنهم متفقون على موقف، فقاطعه الشيخ كمال وقال له: إنّنا غير متفقين، ونحن جزء من الحركة الإسلامية العالمية (كان مفهوم الحركة الإسلامية العالمية واضحاً بمدلوله).

كانت تلك الجلسة التاريخية مفصلية في تاريخ الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني، لأنّها كانت أحد أهم الأسباب الدافعة لنا لنميّز أنفسنا ونحدّد هويتنا. وكان هذا من الدوافع القوّية لإبراز اسم الحركة الإسلامية. ومن ذلك اللقاء بدأنا نشعر أنّ هناك أكثر من اتجاه إسلامي في المنطقة. بدأنا: الشيخ رائد والشيخ كمال نمثّل خطاً، والشيخ عبد الله بصلته مع الشيخ سعيد رحمه الله يمثّل خطاً آخر، إلا أننا حتى تلك اللحظة كنّا في مرحلة المخاض.

كنّا مع خطّ الامتداد للحركة الإسلامية العالمية. وكان واضحاً أنّ الشيخ عبد الله عنده حرص شديد على فصل مطلق للمنطقة، في كل شيء عما سواها. وبدأ هذا الرأي يترجم في مواقف وأحداث وشخصيات... مثلاً: إذا عقد نشاط أو برنامج تربوي لا يأتيه ضيوف من خارج المنطقة، وإذا حصل تواصل فيحصره من خلاله فقط.

سنة 1984، سنة مشبعة بالأحداث:

هذا المخاض دفعنا أن يترتب إطار تنظيمي كان فيه الشيخ عبد الله نمر درويش رئيساً للحركة الإسلامية. وأُعلن الإطار واسم الشيخ دون أنْ يُعلن عن أيّ اسم من أعضاء الإدارة العامة للحركة لأسباب أمنية.

كان معه في الإدارة العامة: الشيخ كمال الخطيب، والشيخ رائد صلاح، والشيخ سعيد أبو توفيق (باقة)، وعدنان (كفر قاسم)، وكمال هنية (النقب)، ويوسف أبو شريعة (اللد)، وفي تلك الفترة أضيف المحامي عبد المالك دهامشة وهو من مجموعة أبو الوليد خلال السجن، للاستفادة منه لتصويب خطواتنا قانونياً.

سؤال: من كان نائب الشيخ عبد الله؟

الشيخ رائد: لم يكن هناك نائب حسب ما أذكر، وإنّما ناطق رسمي، وهو الشيخ إبراهيم العبد الله (سمّى نفسه الصامت الرسمي لأنه لم يأخذ دوره!).

هذه الإدارة أخذت نمطاً ثابتاً: لقاء أسبوعي للإحاطة بالعمل الإسلامي كله.

أهم شيء نتج عنها أنها بدأت تتعامل مع الداخل الفلسطيني كوحدات إدارية ولها ممثلون في هذه الإدارة؛ كالتالي: الجليل (الشيخ كمال الخطيب)، المثلث الشمالي (الشيخ رائد صلاح)، المثلث الجنوبي (يوسف أبو شريعة)، النقب (كمال هنيّة)، وأبو يحيى عبد المالك دهامشة، عدنان، سعيد أبو توفيق. كان لهذه الخطوة ما بعدها.

هنا نقطة مهمة للتاريخ: هذه الإدارة لا شكّ كان لها إيجابيات كبيرة في ترتيب دقائق العمل تحت اسم الحركة الإسلامية بكل التفاصيل: إخوة، أخوات، طلاب، إعلام (صحيفة الصراط الشهرية التي تحولت فيما بعد إلى صوت الحق).

إلا أنّ مواطن الخلاف بدأت تبرز مع الشيخ عبد الله ومَن معه منذ ذلك التاريخ، في مجالات مختلفة:

أولاً: الإعلام الإسلامي: تحديداً مجلة الصراط التي تأسّست سنة 1985؛ حيث إنّه كان يكتب سلسلة مقالات تحت عنوان: "هكذا نفهم السياسة"، فبدأت تتبلور وتظهر لدينا، ولدى كثير من إخواننا، ملاحظات حول مقالاته، لأنّه كان ينشر دون مراجعة أحد، وكان المضمون من القضايا الخلافية، بالذات فيما يتعلق بالعلاقة والتعامل مع الكيان، فبدأت تظهر خلافات.

ثانياً: مجال الصراع الفلسطيني الإسرائيلي: حيث كان له توجه سياسي مستقل ومختلف عما نتوافق عليه. وكانت جملته المشهورة في وصف حالنا مع الكيان وفق رأيه: حالنا كحال المهاجرين عند النجاشي، ويجب أن نبني توجهنا وسياستنا الحزبية على أساس هذه الفكرة.

ثالثاً: انتخابات الكنيست: بدأت القصة عندما ظهرت الحركة التقدمية (بزعامة محمد ميعاري)؛ إذ كان الشيخ عبد الله على تواصل معه لدعم انتخابات الكنيست، بالرغم من رأينا الواضح بالمقاطعة. كذلك لما ظهر عبد الوهاب دراوشة أيضاً، حصل نقاش ساخن حول دعمه في انتخابات الكنيست.

رابعاً: القضايا الإسلامية العامّة: بروز نقاشات حادّة حول المواقف السياسية التي ستلزمنا وتحكمنا، ما علاقاتنا مع الآخر على الصعيد الإسلامي؟

خامساً: التصريحات الإعلامية: في تلك الفترة بدأت تكثر اللقاءات بين الشيخ عبد الله والإعلام العبري (الصهيوني)، وبدأنا نلاحظ مواقف غريبة لا تنسجم مع ما نريد.

حول هذه القضايا وغيرها بدا واضحاً بروز تيّارين: الشيخ رائد والشيخ كمال في طرف، والشيخ عبد الله، والآخرون منصتون مع ميل واضح لمواقف الشيخ عبد الله.

تصاعَد التوتّر إلى أنْ حدث أوّل خلاف قويّ ومعلن، على إثره قاطعنا في أم الفحم حضور جلسات ولقاءات الإدارة العامة، وفي مرحلة خروج الشيخ رائد من الإدارة العامة كان يأتي الشيخ خالد حمدان بديلاً.

سؤال: لماذا؟

الشيخ رائد: لا أعرف. لا أذكر سبب الخلاف؛ إلا أنني أظنّ أنّ الخلاف كان يدور حول التساؤلات والاعتراضات التي تثيرها مواقف الشيخ عبد الله، الشيخ هاشم والشيخ خالد حمدان يعرفان الصورة تماماً[3].

حتى إننا دخلنا الانتخابات للسلطات المحليّة وحدنا؛ إذ كان الشيخ عبد الله يقول: لا نريد أنْ نكون كتلة إسلامية، على نمط ما كان يجري في الضفة وغزة، بينما كان رأينا أن نكرّس هذا الاسم، ولذلك دخلنا انتخابات أمّ الفحم باسم الكتلة الإسلامية.

[3] تمّت مراجعة الشيخ هاشم من قِبل المعدّ، وهو لا يذكر أسباباً أخرى.

بدأت محاولات الإصلاح من أطراف لها علاقات جيّدة مع الطرفين؛ وممّن حاول الإصلاح بيننا كان الشيخ سعيد بلال رحمه الله. إلا أنّ هذه المحاولات لم تفلح في إنهاء جذور الخلاف وإن كانت هدّأته.

مع بداية الانتفاضة الأولى بدأت تبرز أحداث مهمّة جداً:

على الرغم من وجود الخلافات وانشغالنا بها إلى حدّ كبير؛ إلا أنّنا لم نغفل عن متابعة أعمالنا على أكثر من صعيد وبقوة؛ وبالذات فترة ما قبل الانتفاضة (التي انطلقت أواخر 1987):

1. اجتهدنا لمتابعة العمل الإسلامي العام والدعوة في المناطق.

2. استمرار الجلسات الإدارية، وفيها نقاش ساخن، وتظهر بوادر ومواطن جديدة للخلاف.

3. بدأنا نُطوّر مؤسّساتنا؛ فحصلت نهضة قوية لمعسكرات العمل الإسلامي، انتشرت الجمعيات الخيرية المسجلة، وأول جمعية كانت الرابطة الإسلامية (1984–1985 تقريباً).

4. مهرجان الفن الإسلامي ينتقل من أمّ الفحم إلى كفر كنّا وكفر قاسم وبئر السبع.

5. لجان الزكاة، والطلاب الجامعيين، والدوري الإسلامي، ودور القرآن الكريم المحلية.

6. بدأنا نحاول أن نقوم بدورنا في نصرة الأوقاف والمقدسات الإسلامية، قبل الانتفاضة، مثل دورنا في مسجد سيدنا علي سنة 1986؛ حيث سقطت المئذنة نتيجة صاعقة برق على البيت الذي فيه الخادم، وتوفيت أمّ زوجته في هذه الحادثة، والتي غطّيتها (الشيخ رائد) كمراسل لصحيفة الصراط. عندها حصلت دعوة لصلاة جمعة في مسجد سيدنا علي نفسه وخطب الشيخ عبد الله، فكان هذا الحادث هو بدايات أن تأخذ الحركة الإسلامية بُعد المواجهات مع السلطات حول المقدسات والأوقاف.

7. بدأ يظهر لنا دور في مواجهة سلطات الاحتلال ضدّ ممارساتهم القمعية بحق أهلنا؛ ومن ذلك:

- هدمت بيوت لعرب الخوالي، وغطيتُ الحدث وكان هناك عجوز اسمها شنّارة! وبقينا لنهاية الليل حتى أعيد بناء البيوت وكتبنا التقرير في الصراط. شكّل هذا نوعاً من المحفزات لمواجهة السلطات.

- حرق مسجد إبطن، أيضاً دَعَينا لصلاة الجمعة وخطبتُ خطبة الجمعة (محفوظة على شريط فيديو).
- كان هناك خطر من احتمال بيع مسجد حسن بيك لجرشون بيريز Gershon Peres أخو شمعون بيريز Shimon Peres؛ فتنادينا لصلاة الجمعة وأعطيتُ الدّرس، والذي خطب الجمعة الشيخ بسام رحمه الله.
- مواجهة محاولة شقّ طريق يدمّر مقبرة طاسو في يافا، فجاء الشيخ بسام وتحدّث عندنا في عرس إسلامي لتحفيز الناس وجمع التبرعات.
- أحداث كثيرة متفرقة من هذا القبيل حفّزتنا ليكون لنا دورٌ مميّز في هذا الشأن.

8. إحياء مناسبات وطنيّة وإقامة فعاليات في ذكراها:

- كل سنة وحتى الآن يحدث إحياء لمجزرة كفر قاسم، في تلك السنة 1986 تقريباً، ذهبت مع شاب اسمه جمال رشيد (غطّى الحدث)، الذي كان مهرجاناً خطابياً وقد ألقيت قصيدة.
- كانت هذه أول مرة أدخل في إطار عمل جماهيري غير الحركة الإسلامية بمشاركة مجلس كفر قاسم واللجنة القُطرية ولجنة المتابعة العليا.
- بدأنا نحيي يوم الأرض، وأقمنا مهرجاناً في قرية باقة الغربية 1979–1980 (قبل أن يكون ذلك باسم الحركة الإسلامية).

الانتفاضة الأولى والحركة الإسلامية:

لما بدأت الانتفاضة لم يكن عندنا صورة عن حقيقة مَن يقف وراءها؟ ولم يكن هناك وضوح حول واجبنا تجاه هذا الحدث الكبير الذي يمر على شعبنا الفلسطيني.

ومع ذلك كان هناك شعور ودافع لأخذ زمام المبادرة لعمل شيء، وأوّل عمل قمنا به كان جمع التبرعات الإغاثية، وفعلاً ودون تنسيق مع أحد من الداخل تمّ جمع التبرعات. ولما كان وهج الأحداث بدأ في غزة، لذلك كان التوجه أنْ نرسلها لغزة، وذهبت مجموعة منّا إلى غزّة لتقديمها. هذه المجموعة هي التي فتحت الطريق لإيجاد الدور الذي بدأنا به، وهذا الوفد هو: الدكتور سليمان إغبارية، والحاج مفضي أحمد، ومازن درويش (أم الفحم). كان هذا أوائل سنة 1988.

عند عودتهم طمأنونا عن إمكانية إرسال مواد الإغاثة، وتشجّعنا على الاستمرار في هذا الدور، وبعد ذلك ذهب وفدٌ ثانٍ كنت أنا فيه ومعي الدكتور سليمان وعدد من الإخوة

لا أذكرهم، وفي هذا الوقت كنت ما زلتُ أعمل في مجلة الصراط الإسلامية، وفي هذا الوفد اضطررنا للمبيت في غزة على الرغم من صعوبة الوضع الأمني هناك.

في تلك الزيارة التقينا الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، وكان من طرفه حديث لتوضيح ما يحدث؛ حيث بيّن لنا الصورة التي لم نكن نعرفها؛ هذه المعلومات كانت تؤكّد لنا أنّ التيار الإسلامي كان وراء بدايات الانتفاضة في غزة. وبحكم عملي في الصراط الإسلامية أجرينا لقاء مع الشيخ أحمد ياسين ونُشر، وبطبيعة الحال بدأنا نطمئن لنقل مواد الإغاثة لغزّة. مع الزمن وتكرار قوافل المساعدات؛ أصبحت هناك شخصيات عامّة تستقبل المساعدات (أبو ناصر كجك)، فنتوجه مباشرة لبيته ومن خلاله يتم توزيع الإعانات.

عقب هذه الزيارة، في الطريق مررنا بكفر قاسم، وزرنا الشيخ عبد الله، وكانت الانتفاضة حديث الساعة، إلا أنّنا نتفاجأ بقول الشيخ: لا يوجد أي دخل أو دور للاتجاه الإسلامي بهذه الانتفاضة. فقلنا له: ما سمعناه في هذه الزيارة هو عكس ما تقوله تماماً. قال: كيف؟ فأخبرناه عن تفاصيل تلك الزيارة.

حقيقة، كان لهذه الزيارات تأثيرات كثيرة منها:

1. زادت من حدة التوتر بيننا وبين الشيخ عبد الله (لكن ليس لمرحلة القطيعة).

2. أصبحت قناعتنا راسخة للقيام بدور إغاثي وإعلامي، نتيجة لما لمسناه من أثر إيجابي لهذا الدور.

3. قمنا بتكوين لجنة إغاثة إسلامية قُطرية، والتي كان رئيسها الدكتور سليمان إغبارية. وبدأت هذه اللجنة تمتد بشكل كبير من حيث إقبال الناس عليها ودوام دورها الذي بدأ ينتقل للضفة الغربية. كما بدأ هذا الدور يتحول إلى مشاريع محدّدة وبرامج واضحة؛ مثل: كفالة أيتام، العائلات، والمستشفيات.

قمنا من خلال هذه اللجنة على تنظيم الزيارات لبيوت الشهداء والجرحى والأسرى في الضفة الغربية وغزة، ومن هنا وجدنا أنفسنا على علاقة وطيدة مع كل قرية في الضفة والقطاع بما فيها القدس، وهنا بداية التواصل مع الأستاذ المهندس حسن القيق (أبو سليمان) رحمه الله.

بدأنا نتوسع في زياراتنا، وفي كل زيارة نزور مئات الأسر، وننظم زيارة للخليل مثلاً في مجموعات، وكلّ مجموعة تتوزّع على عائلات في الخليل بإرشاد من أحد رموز الخليل،

ثم تعود للعشاء عند أحدهم. ومن قدر الله، في إحدى هذه الزيارات كان اللقاء والغداء في بيت الشيخ طلال سدر رحمه الله. وقد سار هذا النظام على كل المدن في الضفة الغربية.

إنني أشهد شهادة حقّ أن لجنة الإغاثة الإسلامية كان لها دور مبدع، سبق الجميع بفضل الله.

4. إلى جانب لجنة الإغاثة الإسلامية كان هناك دور للجنة المتابعة العليا، وحاولَتْ أن تقيم لجنة إغاثة، وقامت هذه اللجنة، إلا أنّ دور اللجنة الإسلامية كان الأبرز.

وهنا أنوّه بدور الشيخ عبد الله، الذي سعى إلى أن يكون لنا كحركة إسلامية تمثيل في لجنة المتابعة، ولهذا كان الشيخ مشاركاً في اجتماع لجنة المتابعة الذي دعا لإنشاء لجنة إغاثة قُطرية.

إلى جانب هذا الدور الإغاثي كانت محاولات للقيام بدور إعلامي عبر صحيفة الصراط، وفيها رسوم كاريكاتير رسمتها شخصياً. وإعداد أناشيد عن الانتفاضة، وأظن أنّ أول شريط عن الانتفاضة خرج من عندنا من الداخل؛ والذي يقول:

غضبي نار حجري مدفع للباغي أبداً لن أركع

الانتفاضة تزيد من مساحة الاختلافات:

هذه الأحداث انعكست توتراً داخل الإدارة للحركة الإسلامية، لماذا؟

الشيخ سعيد رحمه الله كما هو معلوم كان ضدّ الانتفاضة، والشيخ عبد الله كان على علاقة متينة معه. من منهما الذي أثّر على الثاني؟ لا أعرف. لكن الانسجام كان واضحاً بين الشخصين.

في تلك الأيام بدأت تُطرح في السوق صحيفة أسبوعية اسمها الصنارة، مجاناً في البداية، ثم أصبحت تباع وصاحبها لطفي مشهور. وإذا بنا نتفاجأ في بيان من عدة بنود في الصحيفة صادر عن الشيخ عبد الله، يؤكد الشيخ عبد الله في هذا البيان أنّه ليس لنا علاقة بحماس، ونحن لا نمثّل حماس، وحماس لا تمثلنا وجمل أخرى مثيرة أيضاً. على إثر هذا البيان حدث نقاش ساخن جداً بيننا وبين الشيخ عبد الله، وكالعادة الشيخ كمال ورائد مقابل الشيخ عبد الله في تساؤلات حول عدة جمل وردت في هذا البيان! لماذا؟ ومَن أصدرها؟

هذا من المحطات المفصلية في تاريخ الحركة منتصف 1988 تقريباً. بعد هذا الحدث المفصلي زادت حدة التوتر في الإدارة العامة.

عند احتدام الخلافات تجرأنا واتصلنا ببعض الشخصيات في الضفة لتساعدنا للخروج من هذه الأجواء، وتدخّل الدكتور عدنان مسودة لتسوية الخلاف.

بداية التواصل مع الأستاذ حسن القيق، رحمه الله:

في هذه الأجواء صارت عندنا جرأة ألاّ نحصر أنفسنا في هذه التوترات، ويجب أن نتدارك مسيرة الحركة الإسلامية حتى لا تضيع، لا سيّما وأنّ الشيخ عبد الله، كما صرحت أكثر من مرّة، استُدرج عبر الإعلام لطرح طروحات المنظمة والحلول الجزئية. وبالتالي بدأنا نبحث لأنفسنا عن حلّ. هذا البحث والتساؤل، بقدر الله، دفعنا أن نشكو حالنا في القدس للشيخ جميل حمامي، فقال سأجمعكم بشخص مفيد يوضح لكم الأمور، فكان اللقاء مع الأستاذ المهندس حسن القيق أبو سليمان، رحمه الله.

وكانت هذه البداية المباركة التي قادتنا لمواصلة هذه اللقاءات بين الشيخ رائد والدكتور سليمان والشيخ كمال مع الأستاذ أبو سليمان سنة 1988. هذه اللقاءات أفادتنا، وأكدت لنا صحة ما ننادي به ونختلف حوله مع الشيخ عبد الله. بقينا معه إلى أن لقي الله سبحانه وتعالى.

كانت بداية اللقاءات نتيجة العمل الإغاثي للجنة الإغاثة الإسلامية.

انتخابات الكنيست تؤجّج الاختلافات:

في أحد انتخابات الكنيست، غالباً هي انتخابات 1992، لأني كنت في بلدية أمّ الفحم التي دخلتها سنة 1989، حصل نقاش ساخن، ليس حول أنْ ندخل أم لا؟ لأن هذا الأمر كان غير مطروح مطلقاً على الأقل ليس بشكل علني، وإنما كان الحوار حول موقفنا من هذه الانتخابات بعد دخول القوى العربية الأخرى، وبدأنا نحس برغبة الشيخ عبد الله بالتصويت لصالح ميعاري أو دراوشة أو غيرهما، وهذا استوقفنا. بل إنه، مثلاً، عمل جولة مع ميعاري في عكّا خلال الانتخابات مما يوحي بتأييده له.

أثارنا هذا الأمر كثيراً. عندها كتبت مقالاً في صوت الحق، وكذلك كتب الشيخ كمال مقالاً، نضع فيهما النقاط على الحروف حول موقف الحركة الإسلامية من هذه الأمور، فزاد هذا الأمرُ التوترَ بيننا وبين الشيخ عبد الله، عندها حصلت نقاشات ساخنة وصريحة حول

الموضوع. هذه النقاشات أدّت إلى الاتفاق حول قواسم مشتركة وشعار يقول: لا نشارك في الانتخابات، ونترك للأفراد اتخاذ موقفهم كل حسب حسه الإيماني والوطني.

الانتخابات البلدية المحلية وأثرها على العلاقة بين جناحي الحركة:

من المفاصل المهمة في العلاقة بيننا هي الفترة التي ابتعدت أم الفحم فيها عن عمل الإدارة العامة، ولكن تمّ تجاوزها قبل الانتخابات التي أدّت إلى دخول الحركة الإسلامية البلدية. وقد كان يحضر مكان الشيخ رائد في الإدارة الشيخ خالد.

في الانتخابات المحلية سنة 1989 كان بيننا فتور بالرغم من أننا كنّا قد تجاوزنا القطيعة.

قرارنا في أمّ الفحم كان أنْ ندخل البلدية وننظم أمورنا وحملاتنا بمعزل عن الشيخ عبد الله، على الأقل في أمّ الفحم، علماً أنّ القرار الرسمي هو دخول الانتخابات؛ والمرشحون كانوا كالتالي:

كفر قاسم	الشيخ إبراهيم صرصور
جلجولية	الشيخ توفيق الخطيب
رهط	الشيخ جمعة القصاصي
الطيبة	أحمد عازم
أم الفحم	الشيخ رائد صلاح
كفر كنّا	عاطف خطيب[4]
الفريديس	حسن إعمر
الناصرة	عمر شرارة
كفر برا	الشيخ كامل ريان

سارت أم الفحم في الحملة بإدارة مستقلة، فزاد شعور الشيخ عبد الله بابتعادنا، لأنّه طبعاً كان له دور في كفر قاسم.

انتهت الانتخابات بمفاجأة نجاحنا في الرئاسة لبعض البلديات والمشاركة في العضوية في جميع البلديات؛ فقد فزنا بالرئاسة في: أم الفحم، وجلجولية، وكفر برا، وكفر قاسم، ورهط.

[4] حسب رواية الشيخ كمال الخطيب كان نزول الأستاذ عاطف في 1993 وليس 1989.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

هذا النجاح الكبير والمفاجئ حسّن الأجواء الداخلية والعلاقة مع الشيخ عبد الله، وقام بزيارة تهاني لكل الذين فازوا، وزارنا في البيت.

هذا النجاح أيضاً كان مفصلياً جداً في تاريخ الحركة لأنه أفرز عدة أمور:

1. بداية رمزية الشيخ رائد وغيره من القيادات المحلية، وهذا يعني إبراز قيادات جديدة إلى جانب الشيخ عبد الله.

2. هذا النجاح مؤشّر على مقياس القوى في الساحة الفلسطينية، ويمكن تقدير ذلك إذا عرفنا أنّ المنافس كان هاشم محاميد عضو كنيست ورئيس بلدية لخمس سنوات.

3. انفتاح الإعلام العبري والعربي علينا؛ فقد احتشد الإعلاميون في أمّ الفحم، ولأهمية ذلك الحدث كان البث مباشراً، وأحضروا محللاً خبيراً لأمّ الفحم، وهو ماجد الحاج نائب رئيس جامعة حيفا. أمّا أنا فكنت في دار القرآن!! وما قبل يوم الانتخابات جاءت وسائل إعلام أجنبية أجرت مقابلات معي، ورافقوني من الصباح حتى صلاة الجمعة.

4. هذه الانتخابات دفعت بعدة شخصيات من الحركة الإسلامية للواجهة، وهذه الشخصيات بدأت تُسأل عن رأيها في الأحداث والقضايا التي تهم الساحة الفلسطينية، وقد ازداد هذا الأمر بعد النتائج. وعندها أصرّ التلفزيون العربي على إجراء أوّل مقابلة تلفزيونية معي، وكان المذيع سلمان ناطور، أما التلفزيون العبري فالمذيع يهود يعاري هو الذي أجرى المقابلة.

وبفضل الله، بعد خروج النتيجة انتقلت من دار القرآن الكريم بعد أذان الفجر!! وصلينا في مسجد المحاجنة. كنا لم ننم تلك الليلة كاملة، وبعد ساعة فقط أيقظوني لمقابلة هي الأولى مع الإذاعة الإسرائيلية!! كل هذه التطورات والمواجهة الإعلامية العامة جاءتني دون استعداد أو تدريب أو معرفة مسبقة. ومن الطرائف بعد المقابلة وبمناسبة هذا الفوز قدم الراديو أغنية هدية: يا رئيس البلدية!!

كنا حريصين ألا يبدو هذا الفوز لعائلة واحدة (المحاجنة – عشيرة الشيخ رائد)، ولذلك اقترحنا أن تكون التهاني في دار القرآن الكريم، وجلسنا نستقبل الوفود مدة شهر، لأن الكلّ يريد أنْ يعرف ما سبب هذا النجاح الكبير والمفاجئ، ومَن هؤلاء القادمون الجدد؟!

أكرّر: هذا فتح علينا باباً من الإعلام العالمي والمحلي لم نكن نتوقعه، كما فتح الطريق لرموز جديدة، ممّا سيكون له أثره الداخلي والخارجي على الحركة.

من النتائج العملية لتجربتنا في السلطات المحلية:

1. في المجتمع الفلسطيني في الـ 48، كان هناك دائرتان مهمّتان لم نكن فيهما وكنا بعيدين عنهما:

- اللجنة القُطرية: التي تمثّل كل السلطات المحلية العربية. ولأول مرة أجد نفسي في دائرة عامّة: ليس في أمّ الفحم وليس في الحركة الإسلامية!!
- لجنة المتابعة العليا: وهي تجَمّع يضمّ القوى السياسية داخل مناطق 48 وأعضاء الكنيست وسكرتاريا اللجنة القطرية. وبما أني دخلت اللجنة القطرية وأصبحت جزءاً من سكرتاريا القطرية؛ فقد دخلت لجنة المتابعة.

وبهذا وجدت نفسي فجأة في اللجنتين!!

كان معي في القطرية: الشيخ جمعة القصاصي، والشيخ إبراهيم العبد الله صرصور. وفي المتابعة العليا: الشخصيات نفسها.

2. بهذه التجربة؛ لأول مرة نجلس مع الآخر ونحتك به عن قرب: توفيق زياد، ومحمد ميعاري، وعبد الوهاب دراوشة، ونفكّر معاً في قضايا شعبنا ومنطقتنا.

3. كانت هذه بداية مهمة جدّاً جدّاً، وهي التي أسهمت في نقل تفكير الحركة من الهمّ الداخلي والخاص إلى الهمّ العام والشعبي.

4. هذه النقلة دفعت الحركة أنْ يكون لها دورٌ في قضايا الانتفاضة، الأرض، المقدسات، السلطات المحلية العربية... وانفتحت علينا ميادين عمل لا تعدّ ولا تحصى بعد أنْ كنا منغلقين على أنفسنا.

5. هذه التجربة فتحت لنا علاقات كبيرة جداً، حتى مع الضفة وغزة، لأنني بدأت التحرك والتصرّف حقيقةً دون قيود، كشخصية رسمية وعامة وليس كحركة إسلامية.

6. هذه التجربة هي البدايات الأولى لدخولنا للمسجد الأقصى، بقدر الله، من باب أحداث الانتفاضة التي كان الأقصى منطلقها كلّ جمعة. أول شهيد من الداخل الفلسطيني من الحركة الإسلامية استشهد داخل المسجد الأقصى اسمه عدنان خلف من طمرة، ومجموعة جرحى إلى جانبه معظمهم من الحركة الإسلامية.

7. هي بدايات تواصلنا الرسمي مع هيئة الأوقاف برئاسة الشيخ عبد العظيم سلهب. وبفضل الله كان دخولنا إلى المسجد الأقصى هو الذي بنى بيننا وبين الشيخ عبد العظيم علاقة ممتازة.

8. عندما دخلنا البلديات وأصبحت لنا الشخصية الرسمية، لأول مرة —على الأقل شخصياً— أشعر بإمكانية السفر للخارج، لأن هذا كان حلماً وخيالاً بالنسبة لنا، حيث كنا نعيش في إقامة جبرية حسب قانون الطوارئ المأخوذ من القانون البريطاني (في أم الفحم فقط)....

(يضحك الشيخ ويقول: متعوّد على الإقامات الجبرية!!!)

فكان الخروج من أمّ الفحم من رابع المستحيلات، كنت مطلوباً للتحقيق لكنّ نجاحي ألغى التحقيق!

ولأول مرة بدأت أفكر بالخروج فخرجت للحج سنة 1989!

بعد الحج مباشرة، ونتيجة للرمزية، تلقّيت دعوة من أمريكا لزيارة الجالية المسلمة العربية فيها، وفعلاً لأول مرة يخرج وفد رسمي من الحركة للخارج وإلى أمريكا مباشرة. أول وفد: الشيخ رائد، والدكتور سليمان، وإبراهيم العبد الله، وكامل ريان، وتوفيق الخطيب، وجمعة القصاصي.

انتقلنا بطائرة تي دبليو أي (Trans World Airlines (TWA مباشرة من اللد إلى نيويورك لمدة 12 ساعة، عدة ساعات في نيويورك في المطار، استقبال خفيف وصلاة جمعة باعتزاز شديد في المطار!! في اليوم نفسه مع بدايات الليل سافرنا إلى شيكاغو عند الشيخ جمال سعيد، واستقبلنا أحمد بن يوسف وشاب سعودي اسمه يزن، وأكرم العدلوني. عندما نزلنا من الطائرة ومشينا لاستلام الحقائب التقينا وارث الدين بن محمد اليجا، الذي صحّح مسار أبيه في المسلمين السود.

من الطرائف في هذه الرحلة:

قدراً، كانت حقيبتي تشبه حقيبة امرأة أمريكية من السود فلم أجد حقيبتي وبدأنا نبحث عنها في قسم المفقودات فوجدناها.

وفي الفندق أحضر الأخ السعودي يزن لنا عشاء سعودياً (كبسة)، ولما كان ممنوعاً إدخال الطعام إلى الفندق، فأدخله من الشباك الخلفي! عندها علّق الشيخ جمال "معلش" لأنه هذا الفتى بدوي!!

تستوقفني عدة نقاط في أمريكا:

1. البرامج المعدّة كانت رائعة جدّاً ويومية وشاملة لكلّ الجالية، وكانت هذه أوّل مرة نلتقي وجهاً لوجه مع العالم الإسلامي. كان أول لقاء لي مع الجالية المصرية؛ فحدثتهم عن فلسطينيي مناطق 48، ولأوّل مرة أشعر أنّ علينا عبئاً كبيراً ولدينا رسالة يجب أنْ نوصلها للعالم العربي والإسلامي، والذي هو بأشدّ الحاجة لمثل هذه الرسالة للجهل الكبير في شؤون المنطقة وأهلها.

2. في كل ليلة كانوا يقيمون النشاط لنا، ومن ثمّ يوجهوننا للتركيز على نقاط معينة تتناسب وطبيعة هذا النشاط والحضور فيه، فكان هذا مفيداً لنا.

3. عملوا لنا نشاطات كثيرة في المساجد والمراكز الإسلامية، وخطبنا خطبة الجمعة أكثر من مرة، حتى في مساجد المسلمين السود خطب الشيخ إبراهيم العبد الله، لأنه يجيد الإنجليزية.

4. كان لنا نشاطات وفعاليات مع الأخوات.

5. أُجْرِيت معنا مقابلات صحفية كثيرة، وأيضاً أُجريت معنا مقابلات تلفزيونية محلية مما ساعد على أن يتعرف آخرون علينا وعلى قضيتنا لأوّل مرّة في التاريخ. ومن المواقف المؤثرة أنّ طبيباً التقى فينا بكى تأثراً، وقال: هذه أوّل مرّة أعرف أنّ في فلسطين المحتلة سنة 1948 ما يزال أناس متمسكون بدينهم!

6. دُعينا للقاء في أحد النوادي التابعة للمنظمة؛ فدار نقاش بين جمال سعيد وأحمد بن يوسف حول الاستجابة للدعوة من النادي، فاستقر الرأي على الذهاب عندهم. وكان لقاء طيباً وأيضاً لأوّل مرّة نكون مع "الآخر الفلسطيني" وفي بيته وبترحاب شديد!

7. هذا النشاط تكرّر في عدّة ولايات: شيكاغو، ونيويورك، وواشنطن، وكاليفورنيا... وقد استمرّ تقريباً عشرين يوماً.

8. من أهمّ نتائج هذه الزيارة أنّها فتحت لنا شبكةً هائلة من العلاقات مع أشخاص ومؤسسات وجامعات أمريكية وصحف أمريكيّة وشخصيات رسميّة وعلميّة؛ ومن ذلك مثلاً حصل التعارف مع "صندوق الأرض المقدّسة Holy Land Foundation"[5].

العودة وما وجدناه في الانتظار!

كان هناك تقييم للزيارة وكيفيّة استثمارها، لأنّها كانت بالنسبة لنا حدثاً كبيراً، لأنّنا كنّا نبني عليها آمالاً بدعم السلطات المحليّة والتي استلمناها في وضع ماليّ وإداري صعب جداً. ومن خلال التقييم كان أهم شيء حققناه هو الارتباط بالجالية المسلمة العربية؛ فحتى لو لم نحقق فائدةً ماليةً لدعم السلطات، إلا أنّه فيما بعد كلّ الزيارات بنتائجها المفيدة جاءت ثمرة لهذه الزيارة الأولى. فمثلاً الزيارة الثانية كانت لمؤتمر الاتحاد الإسلامي في كنساس وجاءتنا دعوة للمشاركة فيه، باعتبارنا متحدثين رئيسيين وليس فقط ضيوفاً مشاركين.

بعد هذه الزيارة، بدأت الأحداث تدفعنا، بقدر الله، نحو الواجهة والرمزيّة في كل الجوانب الجماهيريّة، لجنة المتابعة، واللجنة القُطرية، ومتحدثون في المظاهرات والفعاليات، فقد بدأ المشوار!

هذه النشاطات أعطتنا مجالاً أنْ نكون فيها مبادرين كحركة إسلامية داخل القُطرية والمتابعة، مثلاً: اقتراح خيمة اعتصام احتجاجاً على الأزمة المالية للسلطات المحلية، كانت هذه مبادرة منّا، وقد استقطبت الإعلام والسياسيين والوفود، وهذا قوّى دورنا ورمزية شخصياتنا (أصبح هناك شخصيات إسلامية غير الشيخ عبد الله).

ونتيجة كلّ ذلك حصل حدثٌ مهم جدّاً:

ففي أزمة البوسنة والهرسك بادرنا نحن وطرحنا أنْ يكون لنا دورٌ في دعم هذه القضية في لجنة المتابعة، فواجهونا بسؤال، ماذا تقترحون؟ ولأننا كنا جاهزين، أجبتُ: عندنا حملات إغاثية ووفود لتبني الأيتام. هذه الأفكار لاقت قبولاً داخل اللجنة القطرية ولجنة المتابعة بشكل خاص. وفعلاً قمنا بدور ممتاز جدّاً؛ فقد جمعنا مبالغ مالية عالية، وتعاونت وانسجمت لجنة المتابعة معنا وشكّلت وفداً لزيارة المنطقة. فخرج وفد من قِبَلنا

[5] صندوق الأرض المقدسة: كان يديره الأستاذ شكري أبو بكر والذي كان يدعم العمل الخيري في فلسطين، وقامت السلطات الأمريكية بإغلاقه بعد ذلك بسنوات.

أذكر منه بالإضافة إلى (الشيخ رائد): الدكتور سليمان، والشيخ كمال ومحمد زيدان، وواصل طه، وكامل ريان، وسلمان أبو أحمد، وأبو رحال، وكمال يوسف محاميد.

بدأنا بسويسرا ثم زغرب، وهناك عقد مؤتمر إسلامي عالمي حول البوسنة والهرسك. أنا أذكر هذا الأمر هنا لأنّ من معالم هذه الرحلة أنّنا لأول مرة نلتقي فيها الشيخين العالميين: الشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي. ومن الشخصيات الكريمة التي التقيناها: الشيخ أحمد الملط وكامل الشريف وأحمد العسّال وخورشيد أحمد.

وألقينا في هذا المؤتمر قصيدة!! وفي حينه كُتِب بيان باسم المؤتمر، وانتخبت لجنة لكتابة البيان: كامل الشريف، وأحمد العسّال، وكنت أنا في اللجنة. وبالتالي كان هذا النشاط أيضاً قفزةً نوعية على الخريطة العالميّة للعلاقات.

زيارة أمريكا الثانية:

حدث خلاف في الإدارة عند بحث الدعوة للزيارة الثانية؛ حيث إنّها جاءت بأسماء محدّدة. وقصّة الخلاف كانت حول لماذا هذه الأسماء؟ ولكن للأمانة لم يسأل الشيخ عبد الله هذا السؤال ولكن آخرين تساءلوا. وللتاريخ فإنّ الذي أثار الخلاف في حينه هو الأستاذ عدنان من كفر قاسم، على الرغم من أنّ له أدواراً إيجابية، إلاّ أنّه كان يزيد من التوتّر بمساندة مواقف الشيخ عبد الله، وكان يأخذ الأمور ببساطة غير مريحة؛ مثلاً: هل تعترف بـ"دولة إسرائيل"؟ جوابه بسيط جداً: لماذا لا نعترف هي حقيقة واقعة، نعم نعترف! وكان يحاول محاصرة الأسئلة التي نطرحها أنا أو الشيخ كمال بهذه الطريقة من البساطة.

بالرغم من ذلك التزمنا بالدعوة كما وصلت: الدكتور سليمان، وكامل ريان، والشيخ كمال الخطيب، والشيخ رائد صلاح. كان المؤتمر في مدينة كنساس، بدأنا من شيكاغو حيث تمّ المبيت ليلة واحدة، وانتقلنا بعدها إلى كنساس بالطائرة.

بدأت هذه الرحلة بالطرائف؛ ففي مدينة شيكاغو سُئلنا عما جئنا إليه؟ فلم نعرف! فاتصلت بالأخ جمال سعيد، وجاء وسوّى الأمر وخرجنا من المطار بهدوء! أذكر هذه الرواية لأنه في الفندق الذي أنزلنا فيه الأخ جمال في شيكاغو، كان الأخ عبد الحليم الأشقر موجوداً فالتقينا معه لقاء سريعاً.

في مدينة كنساس كان الفندق محجوزاً بمعظمه للضيوف على المؤتمر، وبدأنا نتعّرف عليهم منهم: الدكتور طارق السويدان، ومن غزّة الدكتور الزهار، الدكتور موسى أبو مرزوق، الدكتور محمد أبو فارس، زياد أبو غنيمة، الشيخ جميل حمامي، الأستاذ مصطفى مشهور... والمضيفون هم: نبيل السعدون وأكرم العدلوني وإبراهيم المزين ومحمد الحانوتي.

من الأحداث الملفتة في المؤتمر:

1. خطبة الجمعة للشيخ رائد، لماذا أذكر ذلك؟ كانت أزمة الكويت (1990–1991) والأجواء ساخنة جداً، وبالتالي كان الموقف دقيقاً، والحديث بأيّ طريقة محرج وحسّاس. فكان مما قلته في هذه الخطبة "إن قطرة الدم من الطفل الفلسطيني هي نفس قطرة الدم من الطفل الكويتي والأفغاني..."، فاعترض الإخوة الكويتيون على اللهجة الخفيفة، إذ كانوا يريدون مني موقفاً أقوى! كذلك كان هناك اعتراض من الإخوة السعوديين لأني ذكرت "جهيمان العتيبي" بلفتة فُهمت وكأنها مديح، فاعترضوا على ذلك إلا أنه في المجمل كان القبول جيداً.

2. لأوّل مرة في هذا المؤتمر نلتقي مع الدكتور موسى أبو مرزوق. جلسنا وتحاورنا عن أوضاعنا في الداخل، فأبرزنا معاناتنا من عدم الوضوح السياسي بالإجابة على أسئلة تتكرّر: هل نعترف بـ"إسرائيل"؟ ما هو تصوركم لحل القضية الفلسطينية؟ إلى غير ذلك من الأسئلة الإشكالية.

في هذا اللقاء كان لنا نصيحة من الدكتور موسى: أن أي طرف يريد مساعدتكم لن يستطيع إلا إذا كتبتم تصوراً عن خلفية الحياة التي تعيشونها ليُقدر ظروفكم، ولم ننسَ ذلك الاقتراح. فبعد عودتنا كتبنا تصوراً لظروفنا وأعطيناه لبعض الأخوة في غزة، منهم الدكتور عاطف عدوان.

3. اقترح الإخوة في هذا المؤتمر علينا اقتراحاً، كان من الأفكار المهمة جداً في هذه الرحلة، والتي نتجت عن الحوارات معهم، وهو إقامة جمعية خيرية تهتم بموضوع المقدسات، وذلك من وحي حديثنا عن معاناتنا بتدمير المقدسات والمساجد والأوقاف. وبناء على هذه الفكرة أقيمت عندنا جمعية الأقصى سنة 1990، وكان رئيسها الشيخ

كامل ريان وأعضاؤها رؤساء السلطات المحلية من الحركة الإسلامية: الشيخ رائد صلاح، وتوفيق الخطيب، وجمعة القصاصي، وجمال رشيد. والدكتور أبو مرزوق غالباً هو صاحب الفكرة.

4. في تلك الرحلة أيضاً جلسنا مع بعضنا كوفد وحدنا فقط، وخلال حديث داخلي: تساءلنا عن وضعنا ومسيرتنا في الداخل، فتبين أن الكل يتذمّر وكلّنا نشير لوجع واحد: هو مشكلة الشيخ عبد الله. وبالتالي صار عندنا قناعة أنّه يجب أن نحسّن أداءنا في حلّ هذه الإشكالية.

5. في تلك الرحلة أيضاً تعارفنا عن قرب مع القيادات التي كنا نقرأ كتبها مثل: الدكتور أبو فارس، والدكتور طارق السويدان، والأستاذ مصطفى مشهور...إلخ، وتحاورنا معهم حول قضايانا وقضايا أمتنا عن قرب.

6. رتب لنا الشباب، مشكورين، مجموعة تساعدنا وترافقنا من الفندق للقاعة وحراسة وخدمات كانوا شباباً خليجيين، للأسف نسيت أسماءهم وبالذات شباب كويتيون جزاهم الله خيراً.

7. رتبوا لنا زيارة للمعهد العالمي للفكر الإسلامي المعاصر، وفيه التقينا مع عدد كبير من هيئته: الدكتور طه جابر العلواني، وقد رأيته مرة في الجزيرة، وأعطونا مطبوعاتهم وحدثونا عن أصل فكرة المعهد، وصاحب الفكرة إسماعيل الفاروقي الذي قتل فيما بعد رحمه الله.

8. دخلنا مجموعة مراكز إسلامية في عدة ولايات، وبالتالي تعرّفنا على هموم ومشاكل الجالية هناك، ومنها مثلاً أنّنا بدأنا نسمع عن وجود اتجاهات جديدة في الجالية، وأهمها: الدعوة إلى الاندماج في المجتمع الأمريكي، من خلال القيام بدور سياسي في المجتمع، هذه الاتجاهات كانت تحدث توتراً داخل الجالية (حصل نموذج من هذه النماذج المتوترة أمامنا).

9. بالمناسبة، وبما أنّ هذه المقابلة تجري في لندن، أذكر أنّه عند عودتنا من أمريكا عبر لندن ترانزيت لمدة ساعات، استثمرناها وزرنا أحد أقارب الشيخ كمال وتغدينا عنده، ولم نرَ أحداً آخر. وكان هذا أوّل دخول رسمي لي لبريطانيا، وهذا دخل في لائحة الدفاع الحالية للمحامي؛ حيث أورد أنّي دخلت خمس مرات لبريطانيا.

10. من أهمّ الثمار المباشرة الأخرى، التأكيد على تقوية العلاقة ما بين لجنة الإغاثة وصندوق الأرض المقدّسة في موضوع الإغاثة.

11. عند العودة قيّمنا الزيارة، وكانت نتائجها طيبة، ولم يحدث أيّ توتر يذكر على إثرها.

الحرب الأمريكية على العراق سنة 1991:

بقي العمل في أجواء التوتر وجلسات التوتر ولم تنقطع حتى في أجواء الحرب الأمريكية على العراق.

سياسياً كان موقفنا منسجماً بشأن الحرب ولم يكن هناك اختلاف. نحن ضدّ الاجتياح الأمريكي للعراق، مع رفضنا لاجتياح صدّام للكويت. لأنّ الحرب خطر يهدد الأمة العربية والإسلامية، ولذلك هجمنا على الموقف الأمريكي في مقالاتنا وخطبنا. وأذكر أنّ وسائل الإعلام الغربية كانت تزورنا باستمرار لمعرفة موقفنا. أحد التلفزيونات الغربية حضر وصوّر لي خطبة جمعة كاملة عن الجرائم التي كان يرتكبها الجيش الأمريكي في العراق (كان الحدث الأبرز حينها قصف ملجأ العامرية).

مشروع كلية الدعوة والعلوم الإسلامية في أم الفحم:

أخصّ هذا المشروع بالحديث لأنّه من المشروعات الاستراتيجية في المنطقة، والذي أثّر إيجاباً على مسيرة الحركة حتى الآن. ففي سنة 1990 بدأنا في مشروع كلية الدعوة والعلوم الإسلامية في أم الفحم، إذ كانت من أهم الخطوات المفصلية في تاريخ الحركة الإسلامية، عندما بدأنا في الكلية لم يكن عندنا أيّ معلّم يمكن أن يُدرِّس مساقاً جامعياً، وبالتالي كان كلّ المدرسين من غزة والضفة والقدس. كان العميد الدكتور موسى البسيط، ومن الأساتذة: الأستاذ أحمد فواقة والدكتور حسام عفانة (القدس) وآخر من غزة، ومن الضفة أمين رصرص، وحلمي الأشقر، والشاعر خالد سعيد (كفر راعي)، والدكتور نواف التكروري، والدكتور ناصر عبد الجواد. أما الطلاب فقد كانوا من كل الداخل الفلسطيني، من النقب لآخر الجليل والمدن الساحلية.

وأؤكد هنا أن أهم أثر لكلية الدعوة أنها خرّجت جيلاً ملأ الفراغ الواسع والكبير في التربية في كلّ الداخل الفلسطيني. وبفضل الله كان معظم هؤلاء الخريجين يميلون للقناعات التي نمتلكها.

محطات تجدر الإشارة إليها في تاريخ الكلية:

1. أود الإشارة هنا لنقطة بحذر: بعد أنْ أخذَت كلية الدعوة دورها وخرّجت خلايا عمل كبيرة، برزت هناك أصوات —للأسف— تطالب بإغلاقها أو نقلها إلى مكان آخر! والسبب المعلن: أنّ الكليّة غير معترف بها من المؤسسة الإسرائيلية وبالتالي ليس لها مستقبل، ولعل نقلها يساعد في الاعتراف بها نتيجة لوجودها في أم الفحم ذات السمعة السيئة عند الدولة!

2. حدث آخر في كلية الدعوة، هناك أيضاً، كاد أنْ ينهيها: وهو اعتقال طلاب في مدينة القدس كانوا يدرسون في كلية الدعوة في أوج الانتفاضة الأولى، واعترافهم بأنهم أصحاب عضوية في حماس. وفعلاً هذا أثر كثيراً على الكلية لفترة.

3. حدث آخر خطير: قيام ناصر عبد الجواد والدكتور نواف التكروري (المدرسيْن بالكلية) ببناء مجموعة سرية للعمل العسكري، قسم منها من طلاب كلية الدعوة، ومن ضمن الطلاب نضال أبو شيخة، وهذه المجموعة انكشفت كلها، وعُرِف بالتالي ارتباطها بكليّة الدعوة، وكان لهذا أثر سلبي شديد عليها أيضاً.

بالرغم من هذه الأحداث وغيرها؛ إلا أن الكلية بفضل الله استطاعت تجاوز الأزمات، واستمرت في عملها إلى أنْ وصلت لمرحلة أنّ قسماً من طلابها أكملوا تعليمهم العالي وهم الآن يدرّسون في الكلية ذاتها، وهذا مما سهّل في استمراريتها بفضل الله تعالى. أكرّر وأؤكّد للحق والتاريخ أنّ من أضخم المشاريع التي قامت بها الحركة الإسلامية في الداخل هي كلية الدعوة، والتي خرّجت جيلاً، بل أجيالاً هي الآن من استلم العمل الإسلامي (سواء من الإخوة أم من الأخوات).

المجالس المحلية:

في بداية التسعينيات بدأنا نكسب أبعاداً جديدة بدخولنا للمجالس المحلية ولجنة المتابعة واللجنة القطرية. فبدأ الضوء يُسلّط على الحركة ورموزها من قبل المؤسسة الإسرائيلية، لذلك بدأت الكتابات والمقابلات الإعلامية تتكثف عنا ومعنا. وفي سنوات التسعينيات بدأ يُلاحظ أمران:

1. أمر رسمي متوقع ومرصود: لقاءات رؤساء المجالس المحلية مع كثيرٍ من الشخصيات الإسرائيلية الرسمية بحكم العمل؛ فالتقينا مع أرييه درعي Aryeh Deri

وزيفلون هامر Zevulun Hammer وحاييم هيرتسوغ Chaim Herzog وأريل شارون Ariel Sharon وإيهود باراك Ehud Barak وبنيامين بن إليعيزر Binyamin Ben-Eliezer وإسحاق رابين Yitzhak Rabin وشمعون بيريز وإسرائيل كيسار Yisrael Kessar وشلوميت ألوني Shulamit Aloni ويوسي سريد Yossi Sarid وشلومو بن عامي Shlomo Ben-Ami.

2. أمر آخر أثار جدلاً: لقاءات الشيخ عبد الله مع شخصيات يهودية رسمية وغير رسمية (حزبية)، هذا الأمر أثار خلافاً حول عقدها دون أن تبحث في الإدارة أو نسمع عن نتائجها، وهذا صبّ في اتجاه التوتر بين طرفي الخلاف داخل الحركة الإسلامية.

حدث أمرٌ آخر مؤثر في بداية سنة 1993؛ حيث أغلقت لجنة الإغاثة بأوامر الطوارئ، هذا الأمر بدأ يبرز أصواتاً وآراء تقول إن الحركة الإسلامية يجب أن توفر لنفسها ومؤسساتها حماية، وهذا الصوت تبين فيما بعد أنه كان يرمي لتسويق فكرة الدخول إلى الكنيست بهذه المبررات وغيرها.

إبعاد مرج الزهور:

كان إبعاد نحو 415 من قيادات وكوادر العمل الإسلامي في الضفة الغربية وقطاع غزة في أواخر سنة 1992، من الأحداث المهمة والمفصلية في إثبات دور وحجم الحركة الإسلامية على خريطة العمل السياسي في الداخل الفلسطيني؛ فما أن حصل الإبعاد حتى بدأنا نتحاور فيما يمكننا عمله، وكان مدخلنا للعمل هو لجنة المتابعة، وكان رئيس اللجنة القطرية في ذلك الوقت إبراهيم نمر حسين، وكانت بيننا مودة شخصية.

في حينه قدّمنا طلباً في لجنة المتابعة لبحث موضوع الإبعاد وأسبابه، وأذكر أننا في تصريحاتنا الإعلامية وكتاباتنا في صوت الحق غمزنا وأشرنا أنّ لبعض أعضاء الكنيست العرب دور في هذا الإبعاد (في حينه كنّا نقصد بـ"بعض الأعضاء" عبد الوهاب دراوشة)، فحصل نقاش حادّ في حينه مع توفيق زياد، وتدخّل الشيخ جمعة وتدخلتُ أنا فقلت جملة أسكتت البعض وأنهت النقاش: "نعم صرحنا هذه التصريحات وعندنا الأدلة الكافية والتي سنكشف عنها في مؤتمر صحفي". فانتهى النقاش وانتقل إلى ما يمكن عمله تجاه المبعدين ومساعدتهم في أزمتهم؟!

هذا النقاش أدّى إلى اقتراح إقامة خيمة اعتصام باسم لجنة المتابعة العليا أمام رئيس الحكومة، تعبيراً عن رفضنا التام لهذه السياسة، والأسماء التي كلفت بالمتابعة هي: الشيخ رائد صلاح، ومحمد زيدان، والشيخ جمعة القصاصي، وطارق عبد الحي (من الطيرة)، ومن الجدير ذكره أنه انضم لنا مجموعة شخصيات يهودية في هذه الخيمة. ويعدّ هذا الاعتصام هو أول نشاط أشارك فيه في مسيرة حياتي ويكون فيه شخصيات يهودية؛ ومنهم أوري أفنيري Uri Avnery، وموشيه كتساف Moshe Katsav ويعقوب وليئا تسيمل Leah Tsemel وزوجها.

هذه الخيمة كانت فعالياتها قوية وواسعة جدّاً على مستوى الداخل الفلسطيني والضفة والقطاع وداخل المجتمع الإسرائيلي. وكانت نشاطاتها نوعية؛ ومن ضمنها:

1. قافلة إغاثة نأخذها للمبعدين في مرج الزهور: اتفقنا أن تكون نقطة التجمع في شفا عمرو، وهناك جمعنا الإغاثة في السيارات وسرنا باتجاه رأس الناقورة. تلك الخطوة أثارت ضجة هائلة وجلبت معظم وسائل الإعلام لتغطية الحدث. إلا أن الجيش أوقفنا عن التقدّم ومنعنا من تجاوز الحدود. فقلت أمامنا حلّ واحد: أن يحمل كلّ واحد منا ما يستطيع حمله ونسير مشياً باتجاه الحدود! فقال طارق عبد الحي "والله إنت لتقتلنا تقتيل!" (باللهجة الفلاّحية) وهنا تجمهرت وسائل الإعلام أكثر وسلطت الضوء على هذه الصورة (صورة الناس تحمل المواد وتسير مشياً باتجاه الحدود، متفاجئين من قوة الإصرار)، وهذا كله موثق. ولكنّ الجيش أيضاً منعنا، فبعد المنع وعند آخر نقطة استطعنا الوصول إليها أقمنا الصلاة جماعة! وختمنا الصلاة بالدعاء! وأيضاً ركز الإعلام على هذه الصورة التي لا تقلّ في معانيها عن الصور التي سبقتها.

2. موقف آخر في موضوع المبعدين نفسه: جمعنا أهالي المبعدين ممّن استطاع أن يأتي معنا، وأعددنا منطاداً لتوصيله للمبعدين بأسماء الأبناء والأهل!! بحيث نطلقه من رأس الناقورة، ووصلنا لرأس الناقورة برفقة الأهالي إلا أن خلافاً نشب مع الجيش حول إطلاق المنطاد. فأصرينا على موقفنا رغماً عن الجيش وأطلقنا المنطاد، لكننا لا نعرف أين وصل؟ إلا أن الهدف قد تحقق وهو إثارة إعلامية هائلة لقضية المبعدين، التي كنا نريد أن تبقى حيّة!!

3. فعاليات واتصالات في شأن المبعدين لحل هذ القضية وتسليط الضوء عليها: التقينا مع شخصيات دولية لبحث موضوع المبعدين، ومنهم أحد الأمريكيين، وقابلناه في القدس

وغالباً أنّه كان من الأمم المتحدة United Nations. كذلك التقينا مع الصليب الأحمر Red Cross لبحث إعادة المبعدين. والتقينا مع السفير المصري في الكيان محمد بسيوني رحمه الله، التقينا به وتحدثنا حول المبعدين وكيف يمكن أن تساعد مصر في ذلك.

4. كل هذا بالإضافة لنشاطات كثيرة كلها انطلقت من خيمة الاعتصام واستمرت 50 يوماً، كان يحدث خلالها بيننا وبين اليهود اشتباكات تصل للضرب بالأيدي كما حدث في مسيرة الشموع في القدس؛ حيث اعترضنا بعض اليهود الذين مررنا بهم وألقوا علينا "قوالب الزرّيعة".

5. في هذه الخيمة التي نُصبت أمام رئاسة الحكومة، كان ينام معنا شخصيات يهودية وقيادات فلسطينية من كافة التيارات. وفي أحد الأيام دعونا الأمهات والأطفال ليوم رسم للأطفال.

6. الملفت للانتباه أن الشيخ عبد الله لم يكن يشاركنا أياً من هذه الفعاليات! وفي أحد الأيام كان هناك صلاة جمعة حاشدة ولكنّه أيضاً لم يشارك. ومما سمعته من الشيخ محمد فؤاد أبو زيد، وقد كان مريضاً في بيته وقت المقابلة رحمه الله، قال متذمراً: هل تعلمون أنّ الشيخ عبد الله حتى الآن لم يزرني بعد عودتنا من الإبعاد؟ هذه القصة استوقفتنا كما استوقفنا عدم مشاركته في بقية الفعاليات.

7. بعد عودة المبعدين: اجتمعت اللجنة التي أشرفت على خيمة الاعتصام وقررت زيارة المبعدين في غزة والضفة، وكنا محرجين حيث إننا إذا زرناهم ستأتي معنا الشخصيات اليهودية التي اعتصمت معنا، فاستشرنا أهل غزة في هذا الأمر فوافقوا في حينه، واختاروا مركز رشاد الشوا وذهب الوفد بما فيهم اليهود وألقينا كلمات، ومن اليهود ألقى أوري أفنيري كلمة وقدمت إحدى اليهوديات هدية رمزية للمبعدين.

8. أول قصة المبعدين ذهبنا لغزة كوفد كبير وكان من ضمن الذين استقبلونا الأخ جمال الخضري، فسألته عن المعنويات؟ فقال: فوق السحاب. فأثرت فيّ هذه الكلمة! وأعدّ لنا الإخوة في حماس الغداء، وكذلك بعض الاتجاهات الوطنية أعدوا غداء، فأحرجنا عند من نذهب، بيد أنه لم يكن هناك تنسيق، فقسمنا الوفد قسمين حتى لا يحدث إشكالية.

الجدير ذكره أن هذه الفعاليات أسهمت في إبراز حضور الحركة الإسلامية ودورها على الساحة السياسية الفلسطينية، عدا عن أثرها في إبراز قضية المبعدين، لكن بالتأكيد كان دورها في إظهار حجم دور الحركة كبيراً.

دور الحركة الإسلامية في التوسّط بين فتح وحماس:

بعد أن ظهر دورنا في الإبعاد، وعندما حصل خلاف بين حماس وفتح في غزة واستُخدِم السلاح وقُتِل واحد من فتح، بادرنا في لجنة المتابعة للإصلاح بين الطرفين. وذهبنا وفداً كبيراً لغزة، وحصل حوارٌ معمّق بين الطرفين. وفي تلك الزيارة انبثقت لجنة لتتابع الأمر، وممن قام بالجهد الكبير طارق عبد الحي (من الطيرة) رحمه الله، واستمر بجهود الإصلاح، وبقيت أنا وهو والشيخ كامل ريان للنهاية.

في إحدى هذه الزيارات وجدنا وفداً من الضفة جاء لغزة للهدف نفسه، وهم: فيصل الحسيني ومصطفى أبو زهرة والشيخ حامد البيتاوي والشيخ أحمد الحاج علي. وفعلاً اندمجنا معاً في جهد مشترك للإصلاح بين الطرفين. وكان من حماس: الدكتور الرنتيسي رحمه الله والدكتور الزهار. ومن فتح الدكتور زكريا الآغا.

من النوادر في هذه الزيارات ما حصل مع طارق عبد الحي عندما طال وقت الاستقبال؛ حيث كنّا في المسجد ووقفنا صفّاً يسلّم علينا الناس الذين وفدوا بكثرة، فتعب الشيخ طارق من الوقوف؛ فغيّر موقعه إلى حيث الناس الذين يسلّمون علينا فسلّم علينا وكأنه واحد منهم ثم جلس حتى يرتاح!

عودة لتطوّر مسار العلاقة بين جناحي الحركة الإسلامية:

هذه النشاطات في حلّ الخلافات بين فتح وحماس، أو غيرها، أسهمت —للأسف— في زيادة حدة التوتّر بين جناحي الحركة الإسلامية.

فقد بدأت تنمو بيننا وبين الشيخ عبد الله ظاهرة عدم الثقة، وكذلك زاد بروز الأسلوب الخشن عند الشيخ في حديثه وتعامله معنا خلال النقاشات، هذا الأسلوب كان منفراً للكثير منا، ومما زاد في هذا التوتر أسلوب الأخ عدنان من كفر قاسم.

انعكس هذا الجو السلبي على كل المؤسسات والتعامل معها لأن الأسلوب مختلفٌ بيننا وبينه؛ من ذلك: إدارة كلية الدعوة والتعامل معها، وصحيفة صوت الحق والكتابات فيها وضبطها، ولجنة الإغاثة ونشاطاتها... بالإضافة إلى الخلاف حول كثير من النشاطات والفعاليات التي نقوم بها، لأنّ المنهجين مختلفين تماماً.

بدأنا أيضاً نلاحظ أنّ الشيخ كان يخفي عنّا أشياء ونشاطات وزيارات. وبرز كذلك عدم وضوح بعض العلاقات بين الشيخ عبد الله وبعض شخصيات الحركة... .

كل ذلك وغيره من الأمثلة الكثيرة، أدّى إلى انكسار الثقة بيننا؛ لدرجة أنّني في إحدى المرات، من شدة الضيق، ذهبت للشيخ كمال، وقلت له: يا أخي أنا خايف مما يجري! فوجدتُّ عنده الشعور نفسه!

ومن القصص والأمور المفصلية والتي زادت من عدم الثقة بعد إغلاق لجنة الإغاثة الإسلامية، كان هناك موقف من الشيخ عبد الله استخدم فيه للأسف مصطلح "الخديعة" أو "الحيلة"!! إذ إن الكلمة التي كان يستخدمها الشيخ هي كلمة "!trick" حيث صدر بيان من الشيخ يُستشفّ منه الميل للدخول للكنيست. وعندما سئل الشيخ عن هذا قال: هذا "trick" على الحكومة!

الوثائق في هذا الموضوع عند الشيخ كمال. فهذه الفترة التي نتحدّث عنها هي ما بعد إغلاق لجنة الإغاثة 1994–1995، ومن تلك الفترة فصاعداً فإن دقائق الأمور والوثائق ومادة غزيرة جداً موجودة عند الشيخ كمال الخطيب؛ حيث إنني —بحكم موقعي الرسمي— كان معظم عملي في الصعيد الرسمي، أمّا الشيخ كمال فقد كان على تواصل كبير في البعد الداخلي للحركة الإسلامية؛ المؤسسات والعمل الطلابي، والعلاقات الداخلية.

ملاحظة مهمة: بعدما صار الخلاف 1996، في حينه كتبوا (فريق الشيخ عبد الله) كتيّباً: لماذا انشق الإخوة؟ فكتبنا رداً عليه مفصلاً ولم يُنشر حتى لا يشمت بنا العدوّ وهو محفوظ. في تلك الأيام أيضاً أصدر مركز الدراسات المعاصرة كتاباً بعنوان هل هناك حركتان إسلاميتان وشرح فيه أسباب الخلاف. وهاتان الوثيقتان مهمتان جداً لمن يبحث في توثيق أسباب الخلاف بين الطرفين.

مسار الأحداث التي أوصلت للانفصال:

الأمور بدأت تتوتر بعد إغلاق لجنة الإغاثة لأن البعض استغل هذا الحدث للمطالبة بحماية الحركة ومؤسساتها، وبالتالي دخول الكنيست باعتبار ذلك هو الحماية. ثمّ تلاحقت الأحداث كالتالي:

1. بدأت التصريحات تظهر من الشيخ وغيره أننا نريد دخول الكنيست، وهذا دون توافق داخل أُطرنا. وممن كان يصرّح أيضاً: الشيخ كامل ريان، والشيخ توفيق الخطيب، والشيخ إبراهيم العبد الله.

2. في تلك الفترة أيضاً حصلت تغييرات إدارية داخلية غير مفهومة؛ إذ إنّه فجأة حصلت تغيرات في الإدارة؛ بحجة لماذا لا نوسع الإدارة؛ وذلك بإضافة شخصيات عامة، وكان يُقصد بهؤلاء الشخصيات العامة رؤساء المجالس المحلية.

3. في تلك الأيام حصل نقاشٌ طويل في موضوع الكنيست. وللخروج من هذا المأزق تمّ الاتفاق على أن يعقد لقاء عام يحضر فيه رؤساء المجالس المحلية، ويحصل فيه تصويت حول دخول الكنيست. وفعلاً حصل اللقاء[6]، وفُتح المجال للحديث حول وجهتيْ النظر وأسبابها ودوافعها، وحصل التصويت فكانت النسبة الكبرى ضدّ الكنيست، والشيخ عبد الله كان حاضراً.

عند انتهاء التصويت وبحث كتابة البيان، قال الشيخ عبد الله: إنّ خيارنا هو مقاطعة انتخابات الكنيست! فقلنا له: لا، الموقف هو عدم المشاركة وليس المقاطعة؛ إذ إنّ هناك فرقاً سياسياً بين المفهومين، فكان البيان كما أردنا: "الحركة الإسلامية لن تدخل الكنيست، ولكنها ستعطي أبناءها حرية الاختيار كل حسب فهمه العقائدي وحسّه الوطني".

4. وهنا يفترض أنّ نحدد نهائياً موقف الحركة الإسلامية. إلا أن هناك مجموعة لم تسلّم بالنتيجة، وبدأت تحاول الالتفاف عليها وتطالب بإعادة التصويت من جديد، وهذا الأمر زاد أيضاً من حدة التوتر الشديد داخل الحركة.

5. الجدير بالذكر أنّه شارك في هذا التصويت طلاب كلية الدعوة باعتبار الخلفية الشرعية؛ حيث تزامن هذا الأمر مع قضية مهمة جداً وهي: التساؤل حول الموقف الفقهي من الانتخابات، وليس فقط الموقف السياسي. وهذا عكَس تصور كل طرف حول طبيعة الحركة الإسلامية الفكرية، فرأي الشيخ عبد الله كان واضحاً أنّه يجوز دخول الكنيست، لكنّنا أردنا رأياً من علماء المسلمين، علماً بأن مركز الدراسات المعاصرة كان قد كتب مادة غنية جداً عن الكنيست وما حولها.

وبالتالي من طرفنا نحن راسلنا علماء المسلمين وأعطيناهم مادة مركز الدراسات المعاصرة. وبناء على هذا التواصل وصلت فتوى تحريم الكنيست من الشيخ القرضاوي، وشاركه فيها ستون عالماً ومفكراً من العالم الإسلامي، والفتوى ليست سرّاً. وما زلت

[6] ذكر الشيخ كمال الخطيب في شهادته: مع بداية التحرك والاستعدادات لانتخابات 1996، حصل لقاء ضمّ 71 شخصاً.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

أذكر كيف كانت ردّة فعل الشيخ عبد الله العنيفة، وعندها قال: إن هذه الفتوى وطنيّة ولا تستند إلى أحكام شرعية. لكنّنا جادلنا بأنّ الرأي حول القضايا المصيرية من أين نأخذ الأحكام فيها. وهذا كان أيضاً ممّا وسّع الخلاف بيننا.

بالنسبة لنا؛ هذه الفتوى طمأنتنا لصحة موقفنا، فنحن نستند لفتوى ستين عالماً، بالمقابل من يؤيّد الدخول للكنيست استند إلى فتوى الشيخ عبد الله. فاشتد التمايز بين الفريقين.

6. في تلك الأيام وبعد لقاء للسلطات المحلية، تعزّزت مطالبة الآخرين بإعادة التصويت، وكان هناك إصرار منّا على عدم إعادة التصويت. بناء عليه، وعند اشتداد الخلاف حول قراراتنا انفجرت الجلسة، وخرجنا وقد ازداد كل منّا تمسكاً بقناعاته.

7. في إحدى الجلسات غير الرسمية كان الشيخ جمعة القصاصي في عمّان، وطرح موضوع الكنيست هناك وحصل نقاش، فخرج الشيخ جمعة باقتناع ضدّ الكنيست، وعندما علم الشيخ عبد الله بذلك غضب على الشيخ جمعة.

8. بعد الجلسة (المشار إليها أعلاه) والتي انفجرت، كان موقفنا واضحاً أننا لا نريد تغيير موقفنا. بعد تلك الجلسة اجتمعنا في كلية الدعوة في أم الفحم (الشيخ رائد، والشيخ كمال وآخرون) وجرى حديثٌ في حينه أدّى لقناعة مطلقة بعدم تغيير موقف الحركة الإسلامية مهما كلّف الثمن.

9. فيما بعد حصلت محاولات لتقريب وجهات النظر، فجلسنا مرة أخرى لمحاولة الخروج من المأزق، وفي هذا اللقاء حصل اتفاق على إعادة التصويت. واتفاق مبدئي على أن من يشارك في هذا التصويت هم الإدارة العامة، ومعهم رؤساء السلطات المحلية ورؤساء الإدارات المحلية فقط وليس الجلسة الموسعة. فحصل خلافٌ شديد على ذلك، إذ لماذا نغيّر الدائرة التي صوتت في المرة الأولى؟ ومع ذلك حصلت الموافقة على إعادة التصويت واختصار عدد المصوتين[7]، واتفقنا على موعد لإجراء التصويت، وكان اللقاء في كفر قاسم. وهنا أسجّل عدة نقاط:

[7] ذكر الشيخ كمال الخطيب في شهادته: كانت المفاجأة في اجتماع كفر قاسم الذي عُقد للإعادة أنّ من سيصوّتون هم 114 شخصاً.

- أدار اللقاء شابٌ اسمه عبد الحكيم سمارة والآن هو قاضٍ شرعي، وعند حضور كل المدعوّين، فإذا بمنطقة النقب تضيف أسماء جديدة على الإدارة العامة، وكأن هناك إدارات جديدة لنا في النقب! فحصل خلافٌ شديدٌ حول هذه الأسماء، إلا أن مدير اللقاء كان فظاً في حسم النقاش وإسكات الجميع.
- حصل التصويت، فكانت النتيجة مع هذه التركيبة الغريبة والمثيرة للجدل وغير المتفق عليها، أغلبية مع دخول الكنيست!
- بعد هذه النتيجة، الشيخ عبد الله لم ينتظر وغادر إلى بيته، ومع ذلك لحقناه إلى بيته (أنا والشيخ كمال)، وتمّ التأكيد على انسجامنا مع نتيجة التصويت وبالفعل كدنا ندخل الكنيست!
- وقد اتفق في بيت الشيخ عبد الله على جلسة ثانية للاستعداد للمرحلة التالية، ماذا بعد؟ بمعنى الاستعداد للانتخابات، وكان مقرّراً أن تعقد الجلسة في كفر قاسم.
- قبل الجلسة: اتصلت بالشيخ كمال فإذا به غضبان جداً، حيث تبيّن له أنّ بعض رؤساء الإدارات المحلية في منطقة الجليل عقدوا جلسة قبل جلسة التصويت وأصدروا توصية لرؤساء آخرين بالتصويت لدخول الكنيست، "يعني كولسة عيني عينك!" بالإضافة للعدد الجديد الذي كنّا وافقنا عليه مضطّرين لأجل الإصلاح.
- عندها أثيرت كل التساؤلات مرة أخرى، وتجمّعت الأمور كلها مع بعضها؛ وبالتالي عند عقد الجلسة الثانية في بيت الشيخ عبد الله في كفر قاسم طرحت هذه القضية، وحصل نقاشٌ ساخنٌ جداً، فانفجرت الجلسة وانفضّ الجمع، وكانت هذه آخر جلسة مع الشيخ عبد الله في إدارة واحدة[8]، وبناء عليها صارت لدينا قناعة لا رجعة عنها أنّه لا بدّ من: عملية الحفاظ على الأصول الثابتة للحركة الإسلامية كما عرفناها، وبداية تصحيح أساسية في منطقة الداخل الفلسطيني.
- بهذه الروح أصدرنا بياننا في صوت الحق (الشيخ رائد، والشيخ كمال، والشيخ منير أبو الهيجا، وعبد الكريم الحجاجرة، وعبد الرحيم خليل، وأبو يوسف علي أبو قرن والشيخ مؤيد (من قلنسوة)، وعبد الرحمن أبو الهيجا)، أعلنّا فيه الحركة الإسلامية الأصيلة وطالبنا فيه بضرورة تصحيح مسار الحركة الإسلامية.

[8] ذكر الشيخ كمال الخطيب في شهادته: كان ذلك في أيار/ مايو 1996.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

- بعدها بأيام عندما طرحنا بياننا وأكّدنا فيه أنّنا نمثل الحركة الإسلامية التي تحافظ على الثوابت، وأننا سنصوّب مسار الحركة الإسلامية، وأكّدنا أننا الامتداد الطبيعي للحركة الإسلامية داخل منطقة 48؛ كان لهذا الحدث صدى كبير جدّاً في الإعلام وفي الإدارات المحلية وعند القوى المختلفة، وبدأت الإدارات تحدد موقفها هل ستتبع الشيخ عبد الله أم ستتبعنا.

10. وبهذا بدأت مرحلة التمايز النهائي، وبدأت الإدارات في المدن المختلفة ترتب أوضاعها وفق رؤيتها؛ فكانت الإدارات التي دعمت موقفنا هي: كل المثلث الشمالي تقريباً ما عدا كفر قرع، كل الجليل ما عدا دبوريا وسخنين وعكا، المثلث الجنوبي كان مع الشيخ عبد الله عدا قلنسوة، النقب كان مع الشيخ عبد الله عدا اللقية، أمّا المدن الساحلية: حيفا معنا، اللد مترددة، يافا والرملة وعكا مع الشيخ عبد الله.

11. وبالتالي أصبح هناك كيانان مستقلان وهذا أثّر على الحركة الإسلامية كالتالي:

- تمايز في مؤسسات الحركة؛ بحيث أصبحت صحيفة صوت الحق وكلية الدعوة ولجنة الزكاة القطرية ولجنة الإغاثة الإسلامية وبعض المؤسسات معنا.
- مؤسسات انقسمت ومنها: الدوري الإسلامي لكرة القدم، الطلاب الجامعيون تأثروا بالخلاف، عمل الأخوات أيضاً تأثر، تمايز في النشاط الإسلامي.
- بادر الإخوة مع الشيخ عبد الله بإصدار صحيفة الميثاق.
- جمعية الأقصى حاولنا تحييد الخلاف حولها حتى يستمر الجهد موحداً للمقدسات.

12. كان دور الإعلام الإسرائيلي تثبيت استخدام مصطلح الحركة الإسلامية الشمالية والجنوبية وذلك بهدف ترسيخ الانقسام ومرحلة اللا عودة.

13. دخلنا في أجواء صعبة جداً، ولطف الله هو الذي ستر علينا، وسبب ذلك أن الإخوة في الطرف الآخر بدأوا يكتبون مقالات هجومية جداً في صحيفة الميثاق؛ فتساءلنا هل نردّ أم لا؟ وبعد نقاش موسّع، شرح الله صدور الجميع ألا نردّ إطلاقاً مهماً كانت المقالات قاسية، وعلى هذا الأساس تبنّينا هذه السياسة حتى الآن.

14. ومن المفاصل التي واجهتنا أيضاً التعامل مع الصندوق المالي القطري، والذي يفترض أنّه ملك الجميع: هل نطالب به أم لا؟ وشرح الله صدورنا أيضاً أن نسكت عن هذا الموضوع نهائياً. وكان خوفنا أن يشاع أننا اختلفنا على الأموال، ويستغل الإعلام الصهيوني ذلك.

ما بعد الانفصال:

1. بدأنا العمل على عقد إدارة دائمة منتظمة، فكنّا نجتمع أسبوعياً للعمل على ما سميناه "تصحيح المسار". وأنا حتى تلك اللحظات كنتُ ما زلتُ في البلدية، ولكن كان عندي مشاركة دائمة في جلسات الإدارة الأسبوعية، وكان بيننا توافق أن يدير الجلسات الشيخ كمال الخطيب.

2. حرصنا أنْ يحضر الجلسات ممثلون عن جميع المناطق؛ مثل: علي أبو قرن (من النقب)، والشيخ مؤيد، والشيخ عماد يونس، والشيخ عبد الرحمن أبو الهيجا، والشيخ خالد حمدان، والشيخ هاشم عبد الرحمن، والدكتور سليمان، والشيخ رائد، والشيخ كمال الخطيب، وأبو الحسن، وعبد الكريم الحجاجرة، وحسام أبو ليل، ومنير أبو الهيجا، وحسام شرقية، وفيما بعد انضم الشيخ خالد غنايم من سخنين.

3. أهم عمل بدأنا فيه بعد انتظام الجلسات بهذه التركيبة هو تفقد أوضاع الإدارات المحلية، وبدأنا في هذا الأمر تفصيلياً؛ مما دفعنا للقيام بزيارات لكل بلدة في كل الداخل الفلسطيني، وهذا كان له أثر طيب علينا وعلى المناطق التي نزورها.

4. كنا نتبنى سياسة مهمة جداً: وهي ألا نحاول إحداث انشقاق محلي في أي بلد فيما إذا كانت البلدة منسجمة مع أي اتجاه كان، فوحدة البلد كانت مقدمة عندنا، لكن مع الأيام بدأت الصورة التفصيلية تتضح لنا بالاسم في كل بلدة، ويمكن القول بثقة: أصبحت الصورة أوضح لدينا، وكنا متأكدين أن نسبة 65% من أبناء الحركة والإدارات كانوا منسجمين مع موقفنا. ثمّ ومع الأيام بدأت بعض المناطق المترددة تحسم موقفها، فاللد حسمت معنا، وبعض البلدات حدث فيها خلافات فتشعّب توجهها في الموقفين: مثل يافا، ودبوريا، وسخنين، وعكا، ورهط.

5. وأؤكد مرة أخرى أن بعض الوفود كانت تأتينا وفي نيّتهم إنشاء تكوين دعوي في منطقتهم، وكنا نعتذر لهم ونقول لهم ارجعوا لبلدكم وحافظوا على وحدة الموقف، مثال ذلك كفر قاسم والطيبة.

6. ولترتيب الأوضاع تنظيمياً بدأنا في إعداد مشروع قانون داخلي للحركة الإسلامية، وحصلت جلسات متواصلة ومكثّفة، واستعنّا فيها بطاقم جيّد من المحامين والقانونيّين، وفي حينه اتفقنا على قانون داخلي أوّلي. وأيضاً اتفقنا على ترتيب العمل

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

الإداري القُطري؛ ونتيجة لذلك اتفقنا على توزيع المناطق على وحدات، حيث تولى إدارة كلٍّ منها أحد الإخوة كما يلي: وحدة النقب: أبو يوسف علي أبو قرن، ووحدة المثلث الجنوبي: مؤيد العقبة، والمثلث الشمالي: خالد حمدان، وشفا عمرو: منير أبو الهيجا، منطقة الغابة: عبد الكريم الحجاجرة، عكّا: حسام شرقية، الناصرة: حسام أبو ليل، الشاغور: خالد غنايم، المروج: نمر سلفيتي. أمّا الشيخ رائد والشيخ كمال وأبو الحسن فجاؤوا بالتعيين المؤقّت.

7. اتفق في هذا الترتيب الجديد أن يكون الشيخ رائد رئيساً للحركة والشيخ كمال نائباً له، وسكرتير ثابت ومتفرغ وهو زياد زرعيني من طرعان.

8. استمرت هذه القيادة حتى جرت الانتخابات لأول مرة في كل الإدارات في الحركة الإسلامية المحلية ونتج عنها انتخاب رؤساء إدارات محلية، ثم نتج عنها انتخاب رؤساء مناطق، ثم تعيين رئيس الحركة الإسلامية ونائبه وفق اللوائح الداخلية لأن القانون في حينه لم يقر، واللوائح الداخلية تنص أن الرئيس والنائب ينتخب في المؤتمر العام.

محاولات رأب الصدع الداخلية والخارجية:

1. توالت محاولات رأب الصدع من جديد من قبل جهات شتى، في البداية كانت الجهات من داخل الحركة الإسلامية، جاءنا وفد من كفر قاسم ووفد من المدن الساحلية وطلبنا فقط طلباً واحداً، وبقي هو الطلب الوحيد لفترة طويلة، وهو إقامة لجنة تحقيق ملزمة بحيث تعطى صلاحيات مطلقة وتستجوب من تشاء حتى لو كان الشيخ عبد الله أو غيره، ثم تصدر حكمها الملزم الذي لا يجوز الاعتراض عليه، لكنّ هذا الطلب لم يوافق عليه الطرف الآخر، وكان أكثر إنسان يرفض هذا الطلب هو الشيخ عبد الله نفسه، لذلك فشلت جهود هذه المحاولات.

2. ثم كانت محاولات من قبل القاضي أحمد ناطور رئيس محكمة الاستئناف الشرعية (قلنسوة)، وهو ليس عضواً في الحركة.

3. ثم كانت محاولة من وفد من باقة.

4. وكل هذه المحاولات قوبلت بالطلب نفسه منّا ومن الرد نفسه منهم. ولما كثرت الوفود فيما بعد؛ اتفقنا على تحديد بعض الإخوة من طرفنا لاستقبال أي وفد مصالحة وتمثيلنا في الحوارات التي تقع، وبناء عليه تطور الأمر فيما بعد إلى إقامة لجنة مشتركة

من الطرفين عساها أن تصل للوفاق (بعد انتهاء دور الشيخ عبد الله وانتخاب الشيخ إبراهيم العبد الله رئيساً لهم).

5. استمرت المحاولات حتى تشرين الأول/ أكتوبر 2011: من طرفنا الشيخ رائد والشيخ كمال والأستاذ زاهي أبو محمد الناطق الرسمي باسم الحركة. ومن الطرف الآخر في المقابل: الشيخ حمّاد أبو دعابس، وصفوت فريج، والدكتور منصور عباس. وهذه اللجنة تعمل الآن (وقت إجراء المقابلات 5–2011/10/13) للوصول لصيغة من المؤمّل الاتفاق عليها.

6. المحاولات الخارجية: محاولة من الشيخ عكرمة صبري، محاولة من الشيخ محمد فؤاد أبو زيد، محاولة من الشيخ حامد البيتاوي.

المرأة في الحركة الإسلامية:

لنبدأ من الأساس الذي كان في بداية السبعينيات؛ فلم يكن هناك أيّ وجود لأيّ التزام إسلامي من قبل المرأة لا مظهراً ولا جوهراً، إلا ما كان من مظاهر العبادة الموروثة عند النساء المتقدمات في السنّ، وبطبيعة الحال عكس هذا الحال مظهراً غير مريح في حياة المرأة؛ فكان التبرّج والسفور واضحاً، وخطر التأثر بالمجتمع الإسرائيلي بكل مفرداته كان حاضراً، وكلّ ذلك أدّى لفقدان الوعي بحقيقة الانتماء للإسلام عند المرأة في الداخل الفلسطيني.

بدأ الحال يتطوّر بفضل الله كالتالي:

1. مع بداية توبة المجموعات الأولى المشار إليها في مقدمة الحوار؛ فقد أثّروا على نسائهم تلقائياً! وبدأت كلّ امرأة من زوجات هؤلاء التائبين تلتزم بمظاهر العبادة واللباس المحتشم في البداية.

2. ثم إن الذي حدث أن أحد الدعاة —جزاه الله خيراً— جاءنا زائراً إلى مدينة أمّ الفحم، وهو الشيخ ماهر الخرّاز (من نابلس) فتحدّث في خطبة الجمعة عن الجلباب كأساس في التزام المرأة، وكان هذا في الغالب سنة 1977، وهو من مجموعة إخوة كانوا يزوروننا باستمرار. على أثر هذه الخطبة سافر هؤلاء الشباب التائبون إلى جنين لشراء الجلباب الشرعي لنسائهم، وهذه قصة مشهورة ومعروفة في المدينة عندنا! حيث خرجت كلّ المدينة لوداعهم عندما سافروا، وكذلك كانوا بانتظارهم حين عادوا ليروا ما هذا الشيء الذي يسمّى جلباب؟ سبحان الله!

3. تطوّر الأمر وبرز دور لأحد الإخوة الذين يُذكرون بالخير وهو الشيخ نصوح من رامين من طولكرم كان يزورنا زيارات مكثّفة، وركّز اهتمامه على إعطاء دروس فقط للنساء في كل الداخل الفلسطيني، وهذا أحدث تغييراً ملموساً في النساء. وإلى جانبه ظهر دور لإحدى الداعيات اسمها الشيخة حسنة متزوجة لأحد الإخوة في باقة الغربية، وأيضاً كان لها دور كبير في تثقيف النساء. وإلى جانب ذلك كانت هناك مجموعة داعيات يأتين خصيصاً لإعطاء دروس أسبوعية من طولكرم.

4. ثم تطوّر الاهتمام حيث بدأ البعض منا يعطي دروساً للنساء وأنا منهم.

5. ثم حصلت نقلة نوعية إلى الخير أكثر، عندما بدأت بعض الأخوات من الداخل الفلسطيني يدرسن العلوم الشرعية، في كلية أصول الدين في القدس والمعهد الشرعي الثانوي في القدس، ومنهن أم عمر (زوجة الشيخ رائد) والتي درست في كلية أصول الدين قبل الزواج.

6. وإلى جانب ذلك تزوج بعض الإخوة الذين درسوا الشريعة، في الخليل، من زميلات في كليات الشريعة، وهذا ما ساعد في أن يتوفّر لدينا داعيات محليات يقمن بالدعوة في صفوف النساء في معظم المناطق.

7. ومما ساعد أيضاً وبشكل كبير وعمل قفزة كُبرى في العمل النسائي، افتتاح كلية الدعوة والعلوم الإسلامية التي استقطبت عدداً كبيراً من الأخوات وتخرجن منها، وبدأن بإعداد الدور الدعوي والتربوي بين الأخوات.

8. بفضل الله ثم بفضل هذه العوامل مجتمعة فإنّ هذا الانتشار الدعوي النسائي غطى كل مدن ومناطق الداخل الفلسطيني حتى النقب والمدن الساحلية.

9. في بداية الأمر كان العمل النسائي في مرحلة العمل الشعبي والوعظي فقط، دروس في المساجد ثم تطوّر الأمر إلى بداية إعطاء دروس خاصة على مستوى الأحياء.

10. بدأ مصطلح "الحركة الإسلامية النسائية"، بهذا التعبير لكن في الحدّ الأدنى من الالتزام به، بعد مرحلة أسرة الجهاد. ولكن مما لا شكّ فيه أنّ العمل قفز قفزة نوعية من حيث الانتشار والدور والنظام والتربية والمؤسسات بعد مرحلة حسم الخلاف سنة 1996.

11. ويمكن القول إن هناك ثلاث مراحل في تطور العمل النسائي:

- العمل الشعبي: واستمر من بداية السبعينيات إلى حين أسرة الجهاد.
- مرحلة تنظيمية بسيطة: وبدأت بعد أسرة الجهاد واستمرت لمرحلة حسم الخلاف سنة 1996.
- مرحلة النظم الإدارية والأجهزة بالإضافة إلى المؤسسات، تماماً كما عند الرجال بعد الحسم.

12. الامتداد للجامعات: وهو من المعالم البارزة في العمل النسائي، ويعدّ قفزة نوعية للانتشار بين الجيل الشبابي.

13. إعلام متخصص للجناح النسائي، أبرز مؤسساته مجلة إشراقة.

14. تنظيمياً وإدارياً هناك إدارة قطرية نسائية لها حلقة وصل معنا، بدأت مع الشيخ كمال الخطيب ثم أبو الحسن الشيخ عبد الرحيم، مع التأكيد على أنّ هناك استقلالية عالية وحلقة الوصل مرجعية عليا فقط، كما يندرج هذا الترتيب على الإدارات المحلية.

15. من أهم المؤسسات النسائية:

- مسلمات من أجل الأقصى.
- مؤسسة سند للأمومة والطفولة.
- جمعية إقرأ للطالبات الجامعيات.
- القسم النسائي في جمعية حراء لتحفيظ القرآن.

16. ثم دخلت المرأة في المعترك السياسي من خلال انتخابات السلطات المحلية العربية؛ على سبيل المثال: بلدية أمّ الفحم، حيث ترشّحت بعض الأخوات ونجحْن عن الحركة ومنهن عفاف قاسم وجهاد جبّارين (لم تكن من قائمتنا ولكنها انضمت فيما بعد)، وليلى غليون.

17. أصبح لهن علاقاتهن الدولية الخارجية، كما لهنّ أيضاً نشاطاتهن الدولية مثل: زيارة لوفد نسائي إسلامي إلى جنوب إفريقيا، وزيارة لوفد إلى تركيا.

18. ممّا ساعد على تطور العمل النسائي، اعتماد سياسة استيعاب عدد من الأخوات من اللواتي تبنّت الحركة الإسلامية تعليمهن، ولذلك هناك الحركة الطلابية المبدعة بين الطالبات.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات - بيروت

19. للأخوات دور كبير جداً في بعض المشاريع الكبرى للمجتمع العربي، مثل المدارس الأهلية من رياض الأطفال إلى الثانوية في كفر كنّا.

20. هناك مبدعات، مثالاً وليس حصراً الشاعرة مقبولة عبد الحليم من كفر مندا.

21. لهنّ نشاطات كبيرة وحاشدة جداً، مثل الحشد الكبير في المسيرة للنقب، يوم العودة، يخترن كل سنة قرية من القرى المنكوبة تشارك فيه الآلاف من الأخوات.

22. تنتشر بشكل كبير دور قرآن كريم للأخوات، وانتشر الحفظ بينهنّ من خلال مؤسسة حراء بفضل الله.

كيف بنت الحركة الإسلامية نفسها من الانفصال حتى الآن:

- ملاحظة عامة في السرّية والعلنية: الإدارات العامة للمناطق معلنة؛ وهناك مرونة لدرجة معينة؛ فالأمور الخاصة فينا لا نتحدث عنها، ولكن ليس من باب السرية، فلا يوجد شيء نخشى من إظهاره، وابن الحركة لا يخفي هويته ولكن يخفي ارتباطه وصلاته؛ لأنّنا نعدّ ذلك من خصوصية الحركة، لكن ليس من أسرارها.
- يمكن تقدير العدد الإجمالي لجميع الإخوة بعشرة آلاف، وهو عدد تقريبي غير دقيق، ونحن نتشدد في العضوية، وهناك العناصر الكثيرة التي تعدّ نفسها حركة إسلامية ولكنها لا تريد الالتزام بالتنظيم، بينما هو يلتزم بكل ما هو مطلوب منه من فعاليات ونشاطات دون العبء التنظيمي.
- بعد الانفصال في سنة 1996، كان لدينا قناعة أنه لا بدّ من إعادة بناء العمل الإسلامي بكل تفصيلاته في بعده الإداري والتربوي والمؤسساتي والمحلي والخارجي والنساء والرجال، لذلك بدأنا نصبّ جهودنا من أجل الإحاطة بكل هذه الموضوعات جنباً إلى جنب، وهذا دفعنا لتثبيت لقاء أسبوعي، وكذلك اعتمدنا عقد مؤتمرٍ سنوي للتواصل مباشرة مع كل المسؤولين في الإدارات المحلية والمؤسسات القُطرية المهمة، وبعد سنوات تطور الأمر وأصبح هناك مؤتمراً سنوياً للأخوات لتحقيق الغايات نفسها.
- وحتى نترجم ذلك على أرض الواقع بدأنا بتعميق العمل التخصصي، فعملنا على إقامة أكثر من لجنة، وتخصيص مهمات لكل لجنة؛ بحيث تغطّي هذه اللجان كل ما هو مطلوب من أجل بناء الحركة الإسلامية في تخصصها، ومن اللجان المهمّة:

1. **لجنة التربية:** لإعداد برنامج تربوي موحد لأبناء الحركة الإسلامية، وهذه اللجنة لم تقتصر عند حدّ إعداد البرنامج، بل تابعت رعاية المشروع التربوي على أرض الواقع، وما تزال تجتهد للاطمئنان على جهود المجموعات التربوية في كل بلدة، وما تزال كذلك تراقب عمل المربّين على الصعيد المحلي، وكذلك تقوم بإعداد المربّين حتى لا يقع أيّ فراغ تربوي؛ لدرجة أنها قامت بتخريج بعض الإخوة ليقوموا بمهام التفتيش الميداني وتقديم تقارير عن زيارات المجموعات للجنة التربية، وبطبيعة الحال هذا النظام انطبق على الإخوة والأخوات والطلاب الجامعيين.

وما تزال هذه اللجنة تطور أساليب عملها للأحسن بإذن الله تعالى، بمعنى أنّها تعقد دورات ليس فقط لإعداد مشرفين تربويين؛ وإنما تعقد دورات لأهم القضايا التربوية التي يجب أن يواكبها كل أبناء الحركة الإسلامية، على سبيل المثال: شرح الأصول العشرين، ودورات في كيفية إدارة اللقاء التربوي، وما هي الشروط التي يتوجّب توافرها في كل لقاء تربوي من الألف إلى الياء، وما هي شروط الأخ الملتزم في هذه المجموعات التربوية، وعلى ضوء هذه التفصيلات أيضاً بدأت هذه اللجنة تحدد من يحق له التصويت في الإدارة المحلية وكذلك من يحق له الترشح لهذه الانتخابات.

واهتمت لجنة التربية كذلك بمشكلة المؤيّدين للحركة واستيعابهم، والحلول المطروحة لها، فجاءت فكرة اللقاءات الأربعين؛ وهي لقاءات عامة يحضر فيها عشرات تعطى فيها برامج تربوية بسيطة ويتدرج فيها مع الإخوة ليصلوا لمرحلة الالتزام.

أيضاً بدأت اللجنة تراقب نشاطات كل إدارة محلية بشكل خاص في النشاطات القُطرية ونسبة من يحضر في كل بلدة، وهذا يعني تحديد نسبة التزام أو ضعف كل بلدة بدون استثناء.

وأصبحت اللجنة تُعِدُّ جدول محاسبة حتى يحيط بأوسع مدى من حياة كل ملتزم: الجانب التعبدي، الثقافي، المالي... .

وبدأت اللجنة تُعِدُّ برامج تربوية للأسرة المسلمة، وكان مطلوباً من كل أخ متزوج أنْ يقوم بتنفيذ برنامج البيت المسلم في بيته ومع أولاده.

(لاحظ حجم الجهد التربوي المبذول والمطلوب في الوقت الذي كانت التربية أحد أهمّ النقاط التي كانت تثير إشكالاً بيننا وبين الشيخ عبد الله).

لا شكّ أنّ هذا العمل الدؤوب نقل واقع الحركة الإسلامية نوعياً، بعد أن كان هذا الدور شبه معدوم في الحركة الإسلامية.

2. **لجنة نشر الدعوة:** كانت مستقلة، ودورها إيجاد تواصل بين الحركة الإسلامية والمجتمع المحلي سواء الداخلي أم القُطري، وبعد التجربة تولّدت بعض اللجان المهمة في هذا المجال على سبيل المثال: **لجنة الرحمة** والتي تهتم فقط بالمسلمين الجدد في الداخل الفلسطيني ممن يُسلِم من اليهود أو النصارى، حيث إنّ هناك العشرات يُسلِمون!

3. **لجنة الإشراف والتوجيه:** إلى جانب ذلك مع الأيام وجدنا من الضروري أن نؤسس مؤسسة قوية وصاحبة صلاحيات لمراقبة مؤسسات الحركة الإسلامية القُطرية، وتعمقت هذه القناعة بالذات بعد اعتقالات سنة 2003، وهذه اللجنة كانت باسم لجنة الإشراف والتوجيه؛ وهي الآن تضبط كل مؤسسات الحركة القُطرية والتي يصل عددها إلى 30 مؤسسة في مختلف التخصصات.

عملنا هذه اللجنة عندما وجدنا أنفسنا في المعتقلات، ومؤسساتنا تواجه خطر الإغلاق بسبب البعد القانوني، ولذلك وحتى نتعلم من التجربة ونحمي مؤسساتنا من أيّ فوضى تؤدي إلى إغلاقها أو اعتقال مسؤوليها، أُنشئت هذه المؤسسة لتراقب ميزانية كل مؤسسة قطرية من خلال: لقاءات وزيارات وتقارير دورية تراقب من خلالها برامجها وانسجامها مع ميزانيتها، وتراقب صرف هذه الميزانيات هل يتفق مع ما تقرّر في بداية العام؟

هناك ذراع مهم جداً لهذه المؤسسة وهو صندوق الإسراء؛ وهو أداة تواصل مع كل المؤسسات التي يمكن أن نتواصل معها في الخارج، إذ لا يجوز لأي مؤسسة أنْ تتواصل مع الخارج مباشرة؛ وإنّما من خلال هذا الصندوق، يتم جمع التبرعات للمشاريع بوصفه هو الجهة المشرفة على هذه المشاريع، والمنفذ هو إحدى الجمعيات أو المؤسسات التي يحيل الصندوق لها هذه الميزانية لتنفذ مشروعاً بعينه، وبذلك ضبطنا وحمينا مؤسساتنا، وهي لجنة تتطور بشكل سريع.

وبدأنا نقيم مؤسسات قطرية بالإضافة إلى ما هو قائم بشكل محدود جداً، من ذلك مؤسسة رؤية، لتقيم دورات لأبناء الحركة الإسلامية في الجوانب الإدارية، وهذا يعني تطوير المواهب الإدارية عند المؤسسات، وهذه المؤسسة أيضاً تشرف على توفير طاقات وكفاءات للمؤسسات.

4. **المكتب السياسي:** يأتي إلى جانب كل تلك اللجان، حيث بدأناه عملياً في سنة 2005، وهذا المكتب له جلسة أسبوعية ثابتة، رئيسه هو رئيس الحركة الإسلامية بحكم الموقع، وظيفة هذا المكتب متابعة كل ما يمت للجانب السياسي بصلة سواء الأحداث التي تخص الحركة الإسلامية أم التي في محيطها على الصعيد المحلي والفلسطيني والعربي والعالمي، يتم اقتراح مشاريع عمل أسبوعية بشكل متتابع حتى تنقل هذه التوصيات للإدارة لتقرّها فتنفذها أو ترفضها.

5. **مكتب العلاقات الخارجية:** مع توسع شبكة علاقاتنا الخارجية أصبح لدينا قناعة أنّه لا بدّ لنا منه ليكون حلقة الوصل مع العالم الخارجي. وهذا المكتب هو الذي يستقبل كل الدعوات التي تصل من الخارج ويبحثها ويقدم توصياته للإدارة ويواصل لإعداد ما يلزم لكل رحلة للخارج، ويديره أخ متفرغ.

6. **المجلس الإسلامي للإفتاء للداخل الفلسطيني:** هدفه التواصل بشأن قضايا المسلمين في الداخل وتحرير الأحكام الشرعية لشؤون حياتهم، وقد اضطلع بتحديد بدايات المناسبات الرسمية مثل رمضان والعيد...إلخ، بالتنسيق مع المجاورين، هذا المجلس بني عليه طموحات نأمل أن يأخذ دوره كما يجب.

7. **اللجنة التنفيذية:** مع الأيام تطور البناء وكثرت مهام الإدارة العامة، وأصبح جدول الأعمال مزدحماً بالرئيسي والفرعي؛ فبدأنا نفكر بحل هذه الإشكالية، فأقمنا اللجنة التنفيذية إلى جانب الإدارة العامة؛ بحيث تتولى القضايا الفرعية وتقر فيها وتتابعها وهي جزء من الإدارة العامة.

8. **مكتب الدعوة والتربية:** بدأنا نلاحظ تقاطعاً ما بين مهمات لجنة التربية ونشر الدعوة، ووصلنا لنتيجة توحيد المهمات في إدارة واحدة تحت مسمى: مكتب الدعوة والتربية.

9. **القضاء:** مع الأيام بدأنا نقتنع بإقامة هيئة قضائية داخل الحركة الإسلامية تكون بمثابة محكمة داخلية، ونصبو أن تأخذ دورها الفاعل.

الضربات والاعتقالات:

مقدمة للأحداث لا بدّ منها:

بعد سنة 1996 (الحسم) دخلنا على خط العمل في المسجد الأقصى، وانعكس ذلك علينا في أكثر من جانب. أؤكد هنا أننا بعد الانفصال اجتهدنا ألا نقحم جمعية الأقصى في الانفصال وتبعاته، وبقي الشيخ كامل ريان رئيسها.

في بداية الأمر كان دور هذه الجمعية الاهتمام بوضع المقدسات في الداخل الفلسطيني (ترميم مساجد، حماية المقابر...). بعد الانفصال كل الأعضاء الذين كانوا قبل الانفصال انقطعوا انقطاعاً كليّاً عن هذه الجمعية، فبقينا نحن نعمل في الجمعية. حتى رئيس الجمعية الشيخ كامل ريان أصبحت علاقته مع الجمعية ضعيفة جداً، ومع ذلك استمرت الجمعية في عملها.

ثم بدأت تخطو خطواتها الأولى في قضية المسجد الأقصى، وكانت البدايات متواضعة جداً؛ ما زلت أذكر أنّ أول عمل قمنا به في الأقصى هو يوم عمل تطوعي لنظافة الساحات حوله وكان ذلك سنة 1994، وأذكر في ذلك اليوم أنّ الشيخ عبد العظيم سلهب حيّانا وشكرنا على ذلك الجهد المتواضع جداً، وهذا يدلّ على حجم الحاجة للعمل في المسجد مهما كان هذا العمل بسيطاً ومتواضعاً.

لكن هذا الجهد المتواضع قوّى العلاقة مع الشيخ عبد العظيم، فبدأت جلساتنا معه لترتيب ما يمكن أن نقوم به من مهمات لخدمة المسجد الأقصى، وتنفيذ ما يطلبه منا الشيخ عبد العظيم.

ومن خلال هذه العلاقة أيضاً برز دور أبو مالك ناجح بكيرات، فارتبط معنا في هذه الجلسات مع الشيخ عبد العظيم. وارتبط معنا بتنفيذ ما جاء بعد ذلك من خطوات، حيث أثمر هذا الجهد بإقامة وحدات حمّامات (متوضأ) في باب حطّة، وباب الأسباط. ثم وحدات حمّامات في باب فيصل، ثم بدأ مشروع إعمار المصلّى المرواني، ثم إعمار الأقصى القديم ثم إعمار قسم من المسجد الأقصى (الجامع القبلي)، ولحق ذلك فتح البوابات الكبيرة في المرواني وإقامة المدرجات على إثر فتح تلك البوابات... ثم توالت المشاريع بعد ذلك بفضل الله.

وهناك إفطارات جماعية، ودروس عامة، ثم وصل الأمر إلى مسيرة البيارق بدءاً من سنة 1999، ثم بعد ذلك مسلمات من أجل الأقصى، ومصاطب العلم، ثم مهرجان "طفل الأقصى".

وأودّ أن أؤكد أن كل هذه الأعمال تمّت، وكل الأعضاء في جمعية الأقصى الذين يميلون للشيخ عبد الله كانوا غائبين عن كل هذه الأعمال خلال كل هذه السنوات، وكذلك رئيس الجمعية أيضاً كان غائباً إلاّ من زيارات نادرة.

إلا أن الذي أثار التساؤلات عندنا —بل والغضب— في الإدارة، أن الإخوة في الطرف الآخر بدأوا يتحدثون في إعلامهم وكأنهم هم الذين قاموا بهذه الإنجازات، وأثارنا أكثر أنهم بدأوا يُدخِلون الحديث عن نشاطات جمعية الأقصى في حملاتهم الانتخابية في الكنيست! وكأننا أصبحنا نحن نعمل في الأقصى لخدمة حملاتهم الانتخابية! فكان رأينا داخل الإدارة أنه لا بدّ أن نعمل على تغيير رئيس الجمعية؛ وحتى لا نفاجئه بهذا الأمر ذهبنا أنا والدكتور سليمان إلى بيته في كفر برا، وصارحناه في هذا الأمر، وقلنا له: لدينا توجّه أن يكون رئيس الجمعية الشيخ رائد صلاح. فلم يبدِ أيّ اعتراض، وسارت الأمور بشكل طبيعي. وعلى هذا الأساس كانت هناك جلسة للجمعية، وتمّ فيها إجراء انتخابات للرئيس، وتمّ انتخابي بحضور الأعضاء المواكبين لها منذ أن وقع الانفصال وتابعنا العمل بشكل طبيعي.

ولكن تفاجأنا فيما بعد أن أرقام حسابات الجمعية لم يعد لنا قدرة على استخدامها لا لإدخال أموال ولا لسحب أموال! علماً بأنّها كلها كانت في أم الفحم، وحتى المقرّ لا نستطيع استخدامه. فسألنا لماذا؟ فقيل لنا أنّ طلباً رسمياً قُدّم من رئيس الجمعية بذلك وهو الشيخ كامل ريان! كان هذا صدمة كبيرة لنا. ثم يتبين لنا أن الشيخ كامل دعا إلى عقد جلسة في ليلة المهرجان السنوي "الأقصى في خطر"، وهو مهرجان سنوي في أمّ الفحم، قد دعا الأعضاء الذين كانوا في الأصل في سنة 1999 في اللجنة والذين غابوا عن كل جلسات اللجنة غياباً كاملاً بعد الانشقاق، واتخذوا قراراً بهذه التغييرات التي تفاجأنا بها، فيما يتعلق بالحسابات وأمور أخرى.

وعلى إثر ذلك تناقشنا هل نذهب ضدّ الشيخ كامل وإجراءاته قضائياً؟ وصار نقاش طويل بعده اتفقنا أنّه لا يجوز أنْ نلجأ للقضاء الصهيوني! وليأخذ الشيخ ما يريد من أمور الجمعية، فنحن سنستمر في عملنا كما كان بالتفصيل، ولكن باسم جديد هو مؤسسة الأقصى.

وكان هذا من أكثر الأحداث التي آلمتني في مسيرة الحركة الإسلامية حتى الآن، لأنّه كان فاجعاً بالنسبة لي!

هذا الموقف لاقى قبولاً في الإدارة العامة، واعتقدنا أنّ المشكلة انتهت عند هذا الحد، ولكننا تفاجأنا بعد أيام بمطالبتنا، باسم جمعية الأقصى، بكل الأثاث والأرشيف الذي كان في الجمعية في أمّ الفحم!

فكانت هذه صدمة لا تقل عن الصدمة الأولى:

وأيضاً تفادياً لإقحام المحاكم الإسرائيلية في شؤوننا أعطيناه الأثاث وما كان من أرشيف، وأردنا أنْ نصل إلى حدّ لا يبقى معه تدخلات رسمية إسرائيلية. وحاول الشيخ كامل حينها أن يجرّنا إلى مساجلات إعلامية حول هذا الموضوع، وكان الكلام شديداً علينا ولكننا آثرنا أيضاً أنْ نحسن القول بإيجاز حتى لا تكون هناك سلبيات.

أكملنا عملنا، والحمد لله ربّ العالمين، فتح الله علينا من أبواب الخير الكثير الكثير، وفُتِحت علينا مشاريع لا تعدّ ولا تحصى وثابرنا على تنفيذها دون استثناء.

أودّ الإشارة إلى أنّ جمعية الأقصى أخذت تقوم بكل مشروع نقوم به، بل ويقومون به إما بالاسم نفسه أو بغيره قريب منه، مثلاً: مسح المقدسات الإسلامية، مسيرة البيارق، إفطار الصائمين، دروس العلم في الأقصى...إلخ!

ولكن نحن صمّمنا أنْ نكمل كلّ مشاريعنا، وأن نرتبط بأكبر عدد من المؤسسات في الخارج حتى نتعاون معهم على تغطية هذه المشاريع الكبيرة؛ فكان هناك، بفضل الله، تواصل مع جمعية قطر الخيرية، وجمعية الشيخ عيد الخيرية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي في السعودية... .

وبعد سنة 2003 كان واضحاً لدينا أنّه لا يجوز لنا قانونياً —حسب القانون الإسرائيلي— أن نتصل بهذه الجمعيات، وضيّق علينا لدرجة أنّه ما عاد يجوز لنا الاتصال بالاتحاد العالمي للدعوة والإغاثة (برئاسة الأزهر) وأمانة الأستاذ كامل الشريف رحمه الله، فانقطعنا عن الاتصال بهم ثم تبيّن لنا فيما بعد مفاجأة كبيرة جداً، وهي أن بعض المحامين والعاملين في جمعية الأقصى كانوا على اتصال ببعض هذه المؤسسات الممنوعة، وعلى سبيل المثال كانوا على اتصال مع مؤسسة هيئة الإغاثة الإنسانية

وحقوق الإنسان والحريات The Foundation for Human Rights and Freedoms and Humanitarian Relief (IHH) التركية، وهيئة الأعمال الخيرية الإماراتية، وكانوا يسعون لمدّ العلاقة مع الإنتربال لندن Interpal UK ومع قطر الخيرية ومع مؤسسة الشيخ عيد...إلخ. باختصار مع كل المؤسسات الممنوعة علينا، والتي يصل عددها الآن إلى أكثر من 35 مؤسسة ممنوعة! فلم نعرف ماذا يعني ذلك؟ ولكن عرفنا —قدراً— أنّ الذي كان يقوم بهذه الاتصالات هو محام من مدينة رهط في النقب اسمه أبو هاني شفيق، ويساعده محام آخر من قرية عرّابة البطّوف في الجليل، ويؤازرهما في هذا الدور مدير جمعية الأقصىً فريد الحاج يحيى، وما صدمنا أنّهم عقدوا لقاءات مع مجموعة من هذه المؤسسات الممنوعة (المؤسسات المانحة) وكانوا يعرضون عليها الأمور التالية:

1. أن يقومَ مدير الجمعية والمحاميان بدور الوسيط لدى المؤسسة الإسرائيلية لرفع هذه الجمعية أو تلك من قائمة المؤسسسات المحظورة إسرائيلياً.
2. أن يفتحوا الباب لهذه الجمعية أو تلك لتقديم مساعداتها المالية للداخل الفلسطيني ولكن بشرط أن يتم هذا عن طريقهم فقط.
3. أنّهم يجب أن يقدّموا لهم تقريراً عن كلّ المساعدات المالية التي يدفعونها إلى أي عنوان يقع في حدود فلسطين ولبنان! (يقدّمون خدماتهم حتى في لبنان!)
4. أن يقدّموا رسالة خطية للمؤسسة الإسرائيلية يظهرون فيها أنهم جمعية خيرية فقط ولا دخل لهم بأي ظنون إسرائيلية، كالارتباط مع ائتلاف الخير مثلاً، وأنّهم لا يقدّمون المساعدات لأي منظمات إرهابية كحماس وغيرها!

هذه مجمل الشروط التي كانت تعرض من طرفهم وهذا ما دفعنا أن نتحرّى: مَن يكون هؤلاء حتى يقوموا بهذا الدور الخدماتي الكبير لـ"إسرائيل"؟!

تبين لنا أن المحامي شفيق أبو هاني هو أصلاً يعمل في أكثر من مكتب محاماة وشركاؤه من اليهود، وأنّ له من المشاريع الاستثمارية في بعض الدول الإفريقية (إثيوبيا أو زائير)، وهي مشاريع زراعية وشريكه فيها أيضاً رجل يهودي كان له تاريخ في جهاز المخابرات! وأنّ له مشاريع استثمارية في ألمانيا ما زلنا نحاول أنْ نتعرّف عليها أكثر.

وأما المحامي الثاني الذي هو من عرّابة البطوف الجليل، فهو كان من الجبهة الديمقراطية (الحزب الشيوعي)، وهو أحد العاملين في مكتب شفيق أبو هاني ولم نعرف أكثر من ذلك.

وأما الشخص الثالث فريد الحاج يحيى، فمن خلال متابعتنا لأعماله في الداخل وبالذات في قضايا المسجد الأقصى وجدنا أنّه لا يتقيّد بأي ضوابط إطلاقاً؛ وعلى سبيل المثال عندما بدأ بمشاريع الإفطارات لم يتردّد أن يتعاون مع الاحتلال لتنسيق دخول الإفطارات إلى ساحات المسجد الأقصى، وهذا ما تعرفه جيداً مؤسسة الأقصى، حيث نجحنا في الكشف عنه، وما تعرفه كذلك هيئة الأوقاف في المسجد الأقصى، وهذا يعني ممّا لا شكّ فيه —بقصد أو بغير قصد— الاعتراف بوجود سيادة إسرائيلية على المسجد الأقصى.

ومما يزيد قلقنا في خطورة هذه التصرفات والتحركات أنّ هذا الشخص (فريد الحاج يحيى)، مع رجل آخر هو محمود مصالحة من دبّوريا، يشغل منصب رئيس مجلس أقامه فجأة باسم "المجلس الإسلامي الأعلى"! تقدّم هذان الشخصان إلى المحكمة الإسرائيلية أنهما يريدان من خلال المحكمة إيقاف الحفريات عند طريق المغاربة في الطريق المؤدي إلى المسجد الأقصى وإيقاف بناء جسر إسرائيلي على أنقاض هذه الطريق، وأيضاً هذا يعني مرّة أخرى —بقصد أو دون قصد— الاعتراف بوجود سيادة إسرائيلية في المسجد الأقصى.

وقد نُصِحوا ألاّ يتوغّلوا في هذا الاتجاه من قِبل الكثير إلا أنّهم رفضوا، حيث نصحناهم، ولفتت انتباههم هيئة الأوقاف في الأقصى، وقيل لهم بصراحة: إنّكم تجرّون المسجد الأقصى للقضاء الإسرائيلي، وهذا يعني الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على الأقصى، إلا أنّهم رفضوا كلّ هذه النصائح للأسف. وآزرهم في هذا محام مسيحيّ اسمه قيس ناصر، واتصلنا بقيس ونصحناه بأسلوب لا يقبل التأويل وقلنا لهً: أنت تتصرف بأهم قضية إسلامية، ومَنْ أنت حتى تقوم بهذا الدور؟ ولكنّه وجد الاحتضان من الطرف الآخر، فأكملوا في المرافعات القانونية في المحاكم الإسرائيلية وللأسف خسروا في نهاية الأمر. وكان مؤكّداً لنا ذلك، ولم يجنوا سوى الاعتراف بالسيادة الإسرائيلية على المسجد الأقصى، لقد خُدِعوا ببعض الإجراءات الإيجابية الموعودة الموهومة من قبل الإسرائيليين.

ماذا حدث بعد ذلك؟

ما نستشفه من القرائن، وهذا ما لم نتأكّد منه حتى الآن، (وقت إجراء المقابلات) أنّ فريق فريد الحاج يحيى أقام جمعية مستقلة لشخصه في سنة 2011 باسم

"جمعية الأقصى للإغاثة"، بعيداً عن جمعية أو هيئة الأقصى التي يرأسها الشيخ كامل، ولا ندري تفسيراً لهذه الجمعية الجديدة، هل هو بسبب خلاف بينهما؟ أو تنسيق من أجل إبراز عنوان جديد يقوم بمثل هذه المهمات الغامضة بعيداً عن اسم جمعية الأقصى؟ لا نستطيع الجزم حتى الآن!

لكنّ الأكيد أنّ فريق فريد الحاج يحيى يواصل ربط هذه العلاقات في الخارج، وللأسف فقد ارتبطت معه بعض هذه المؤسسات على الرغم من تحذيرنا لها. وقد كشفنا لها هذه الصورة بكل التشعبات مثل هيئة الأعمال الخيرية. وبعض الجمعيات كادت أنْ تخطو خطوات أولى في هذا المسار الحساس، وأرجو أنْ يكونوا قد سمعوا نصيحتنا مثل الإنتربال، وهيئة الإغاثة الإنسانية وحقوق الإنسان والحريات وجمعية قطر.

بعد العمل المتواصل في المسجد الأقصى وإلى جانبه بدأنا منذ سنة 1996 بعقد مهرجان سنوي كبير جداً باسم الأقصى في خطر، وهذا المهرجان لاقى نجاحاً كبيراً جداً لدرجة أنّ عدد الحضور بدأ يصل إلى خمسين ألفاً، وبدأ يستقطب كلّ القوى السياسية دون استثناء (الأحزاب، أعضاء الكنيست، القدس، الدروز، مسيحيون، رؤساء مجالس...).

وكان من أنجح المهرجانات: المهرجان الذي كان في سنة 2000 قبيل انتفاضة الأقصى، وما زلت أذكر نبرة خطاب ذلك المهرجان كانت قويةً جداً، إلى جانب ذلك بدأت صحيفة صوت الحق تركّز بشكل بارز حول قضية القدس والأقصى (أخباراً ومقالات).

بوادر الضربة:

كل ذلك وغيره جعل الحركة الإسلامية صاحبة الدور البارز المتقدم في هذه القضية، فعندما قامت هبّة القدس والأقصى في الداخل الفلسطيني، وبلغت الذروة حينما استشهد فيها 13 شاباً من: جتّ وأمّ الفحم والناصرة وكفر كنّا وكفر مندا وعرّابة البطوف وسخنين، بدأ الإسرائيليون يشيرون بإصبع الاتهام للحركة على أنّها هي التي تسببت بهذه الهبّة، أو على الأقل أنها كانت سبباً أساسياً فيها.

وهذا صعّد من خطاب المؤسسة الإسرائيلية والإعلام ضدّ الحركة، ولذلك لما أقيمت لجنة أور Commission Or لبحث هبّة القدس والأقصى، كان من ضمن استنتاجاتها ما يصبّ في هذا الاتجاه المتبنّى من المؤسسة الرسمية والإعلام العبري.

ولذلك قبل اعتقالات سنة 2003 بفترة قصيرة اتصل بنا أحد المستشرقين الإسرائيليين من المحاضرين في جامعة بار إيلان Bar-Ilan، أظنّ اسمه مردخاي "موطي" كيدار Mordechai "Moti" Kedar، وعرض علينا لقاءً في مكتب رئيس الحكومة، فسألناه مع من سنلتقي؟ وما هي أهداف هذا اللقاء؟ وما هي نقاط البحث؟ فقال: لا أعلم، سأنقل رسالتكم وسأجيبكم.

وبعد فترة اتصل بنا وقال: لا أملك إجابات على الأسئلة. فقلنا له: إذن لن نشارك في هذا اللقاء! فقال لنا: ستندمون وستواجهون المتاعب بسبب هذا الرفض والجواب! وبعد أسابيع معدودة جاءت اعتقالات سنة 2003، وكان ذلك في 2003/5/13 ليلاً.

والحمد لله.